

رواية

دار العميان

الجزء الثاني من رواية ياقوت سالا

دار العميان

اسم العمل: دار العميان " الجزء الثاني من رواية ياقوت سالا".

اسم المؤلف: محمد الليثي.

الناشر: دار دانة للنشر والتوزيع

نوع الكتاب: رواية

مصمم الغلاف: محمد جمال السيد

تدقيق لغوي: طارق أبو الذهب.

إخراج داخلي: ناجي أيمن.

عدد الصفحات: ١١٨ صفحة.

رقم الإيداع: (٧٤٨٤ - ٢٣ - ٢٠٢٠ م)

التقييم الدولي: ٨ - ٤٦ - ٦٩٦٦ - ٩٧٧ - ٩٧٨

الطبعة: الأولى.



جميع الحقوق محفوظة للناشر

وأي اقتباس أو تقليد أو إعادة طبع أو نشر دون موافقة كتابية من
الدار يُعرض صاحبه للمسائلة القانونية.

أما الحقوق الملكية الفكرية والأراء والمادة الواردة في الكتاب
فهي خاصة بالكاتب فقط لا غير

الإهداء...

كانتِ النُّجُومُ في أبهى حالاتها، سرحتُ في النجمة الحيرانية دونهم

من ليلتها كان الحب بين قلبين شاعرًا ونجمة

أهدي تلك الرواية إليها "النجمة الحيرانية"

لأنها تستحق كل جميلٍ وهي أجدر بأن تُضيء دائماً.



في اللحظات الأولى لهم في دار العميان يتحدث عامر
يائسًا:

- أنا لا أرى شيئًا!

يُعقّب نوح:

- وهكذا أنا!

وتميم صامت.

يبتسم شاهين يائسًا:

- اسمُها دار العميان وتريدون ألا تفقدوا أعينكم فيها؟!

يسمعون صوتًا غريبًا: "ما زال قلبك يحترق وتبحث عن
السريّا تميم؟" فيرد تميم:

- أعرف هذا الصوت جيدًا! لقد سمعته من قبل وكذلك
سمعتُ تلك الكلمات!

نوح يبدو عليه الخوف، وعامر قلبه لا يعرف الخوف،
فيُكمل تميم:

- إنه صوت الرجل المجنون الذي قابلته في سالا!

شاهين:

- وما الذي يأتي بمجنون المدينة إلى هنا يا تميم؟! يبدو
أنك متعبٌ فاقْدُ للتركيز!

- أعني ما أقول جيدًا! إنه الرجل المجنون! قابلته في
طريقي إلى القلعة وكان بصحبتني حارث!

يتقدمون جميعًا بضع خطوات دون أن يسمعوها شيئًا هذه المرة ولكن هناك شعاع يتلاعب بعيونهم المفقودة، وفجأة يجد نوح نفسه مبصرًا يرى كل شيء فيجد دار العميان وكأنها مكان لم يَر في غرابته من قبل، فيصرخ قائلاً:
- أنا أرى! لقد عاد بصري!

يندهش عامر:

- كيف ذلك؟! ولم نحن عميان؟!

تميم:

- صف لنا الدار يا نوح لنحاول أن نجد الياقوت الرمادي.

يبدأ نوح في وصف الدار؛ هنالك سبعة أبواب؛ الباب الأول على اليسار وهو مربع الشكل ومكتوب عليه: "وُلدت سالا هنا وفارقت هناك وبُنيت على أثرها المدينة". فيقول شاهين:

- خذنا يا نوح إلى هذا الباب، ربما نجد شيئًا يساعدنا. يتحرك نوح ليجد نفسه قد كان واقفًا على ورقة غريبة الشكل لها ملمس غريب وكأنها ورقة أثرية، هذه الورقة مكتوب عليها كل شيء عن زوار الدار من قبل ويجد اسمه هو ورفاقه في أسفل الورقة كآخر زوار للدار. يقول شاهين:

ماذا يا نوح؟! لماذا أنت صامت؟!
- كنتُ أقف على ورقة غريبة الملمس وأسمأؤنا مكتوبة
بأسفلها!

- أرني ملمسها.
فيمسك بالورقة ليجد نظره قد عاد إليه، أصبح يلتفت في
غربة، فقال مندهشًا:

- تلك الورقة هي التي جعلتك ترى من جديد! أنا أرى
الآن كل شيء بوضوح!

ثم يعطي الورقة لتميم ومن بعده عامر فتعود أبصارهم
جميعًا وهم في وجومٍ من هول الموقف ومن بداية أول
غرائب الدار.

ينظرون جميعًا للدار والرسومات الغريبة بها ليعقّب عامر
مبتسمًا:

- يبدو أنّ نهايتنا ستكون هنا!

تميم وهو ينظر في الورقة:

- إنها تتحدث عن أسماء كلِّ من خطّت قدمه هذه الدار
ومصائرهم! ما أغرب التاريخ! يعود بالبصر قبل النظر وكأنّ
التاريخ لا ينسى شيئًا!

نوح:

- دعنا من فلسفتك الآن يا تميم وهيا بنا لنرى ماذا تحوى الغرفة الأولى!

يقرأ شاهين ما سطر من مئات السنين على باب الغرفة الأولى التي كُتب عليها (ياقوت سالا) ويقول:

- إِذَا اسم سالا ومدينتنا تعود لامرأة؛ فماذا قصتها يا تُرى؟!

تبدأ خطوات الأربعة نحو الغرفة الأولى ليفتح تميم باب الغرفة الأولى ويلحق به رفاقه فيجدوا فيها رسمة ضبع أسود خانقاً إياه ذئب لونه رمادي حاد النظر، ورسمة أخرى تحوي قطيعاً من الذئاب الرمادية مكتوب أسفل منها: "نحن الذئاب الرمادية لا نخون هكذا، علّمنا أمّنا سالا وهكذا نكون".

كانت تلك الغرفة ضيقة لا تحوى سوى الرسمتين. يقول عامر:

- يبدو أنه لا يوجد شيء مهم في هذه الغرفة، هيا بنا. وإذا برسمة الذئاب تعوي في صوتٍ واحدٍ بلحنٍ مختلفٍ؛ يرتعبون جميعاً خارجين بسرعة ويُغلقُ الباب بعدها، يقفون حتى يتمالكوا أنفاسهم مما حدث؛ فكيف لرسمةٍ على الحائط أن تعوي بذلك الصوت المرعب؟! فيسمعوا

صوت امرأة في غاية الرقة قائلاً: يكاد الحزن يقتل ماسة يا
تميم ويُعرف عن الحزن أنه قاتل الجميلات.
فتزيد دهشتهم ويرقُّ قلب تميم ويتمنى لو يحتضن ماسة
في تلك اللحظة وتكون أمام عينيه.
وينتفض عامر بعد أن سمع صوت امرأة غليظًا يقول:
قُلتُ حبيبتك يا عامر بعد أن اغتصبها أمير وينسلز.
يصرخ عامر:

- إنك كاذبة! هي بخير! هي بخير!

شاهين:

- يجب ألا نضيّع وقتًا وألا نلتفت لتلك الأصوات حتى
نعرف طريق الياقوت الرمادي وإلا نموت هنا!
نوح:

- أنت محقُّ يا شاهين، هيا بنا ناحية الغرفة الثانية.
الغرفة الثانية لها باب دائري وهي من ناحية اليمين
مكتوب عليها "قتلهم الحبُّ بعد أن قادهم إلى هنا".
يدفع شاهين باب الغرفة الثانية بقدمه ويتقدمون نحوها.

في القلعة حيث مدينة سالا اجتماع سري بين الملك
الجديد وقائد الحرس ورقيب المدينة ووزير الخزانة ومعهم

زعيم للجواسيس قد قام بتعيينه قائد الحرس، قال زعيم الجواسيس:

- ليس هنالك حديث في المدينة سوى عن هؤلاء الذين دخلوا دار العميان وقتلوا الجنود ومات منهم واحد فقط وقيل أنّ عددهم خمسة رجال.
رقيب المدينة:

- فيهم ذلك الشاب الغريب عنّا وهو الذي يقودهم والبقية لا نعرف من هم.
يشير الملك إلى قائد الحرس:

- اجلب لي كل أقاربهم وقم باستجوابهم بكل شدة وحزم!
قائد الحرس:

- ولكن من هرب من السجن هم الوينسلز ومن المؤكد أنهم رفاقه.
رقيب المدينة:

- الذي قُتل منهم شابٌ كان يسكن في الحواري بقُرب القلعة ويرافقهم أيضًا شابٌ يُدعى شاهين قُتل أخيه في معركة القلعة.
قائد الحرس:

- لماذا تشغل ذهنك بهؤلاء يا جلالة الملك؟! فَمَنْ
يدخل دار العميان لا يخرج منها وتُصبح قبره!
الملك في غضب:

- وماذا إن خرجوا؟! وماذا إن نجوا أيها القائد؟!
رقيب المدينة:

- أنتَ على حقٍّ يا جلالة الملك، يجب أن نفعل اللازم
مع أقاربهم.

أرسل قائد الحرس رجاله ليقتحموا منزل جابر ويأخذوهم
جميعًا إلى قائد الحرس حتى يقوم باستجوابهم، يسأل جابر
أولًا والضباع من حوله تُرعب قلبه:

- مَنْ تميم هذا يا أنت؟

- إنه شابٌّ غريبٌ احتواه فقيدنا السيد راشد وكان يعمل
معنا في الورشة!

وهكذا ظل يسألهم واحدًا تلو الآخر دون فائدة، حتى أتاه
زعيم الجواسيس قائلاً له:

- هؤلاء لن يفيدوك بشيء يا سيدي القائد؛ فَمَنْ تفيدك
هي حبيبة تميم ألا وهي ماسة الفتاة التي تعمل مع خالتها
في خياطة أزياء عُمال المناجم.

يصرخ فيه قائد الحرس:

- خذ هؤلاء من هنا واجلب لي ماسة هذه في التو
واللحظة!

في سلينيا ماسة الرقيقة التي أصاب جسدها النحول
وجفت عيناها من الدموع؛ فهذا حال الحب يفتت الكبد
ويكسر القلب.
خالة ماسة:

- الحرس اقتحموا منزل راشد ويحققون مع عائلته وربما
يأتون إلينا!
ماسة صامته لا تنتبه لخالتها.
خالتها:

- يجب أن تُغيّري من هيئتِك تلك؛ فقائد الحرس لا يدع
الفتيات الجميلات في حالهنّ.
- وأين جمالي؟! لقد ذهب مع رياح الحُزن!
خالتها في غضب:

- غيري من شكلِك! اجعليه قبيحًا للغاية!
فأخذتها خالتها ووضعت لها كرةً صغيرةً بيضاء اللون في
عينها؛ جعلتها تبدو عوراء العين، وشكّلت لها بقعةً داكنةً
اللون في وجهها، ومع جسدها الذي أصبح نحيلًا بدت
قبيحة للغاية، وقامت خالتها برشّ روائح كريهة على
ملابسها؛ فتضحك ماسة على الرغم من همّها:

- أنا لا أتحمّلُ نفسي بتلك الهيئة! أحسنتِ صُنْعًا أيتها
العجوز الماكرة!

ما هي إلا دقائق وإذا بالحرس على الباب كما توقّعتُ حالة
ماسة ويأخذونهما إلى قائد الحرس.

قائد الحرس في غضب:

- مَنْ هذه القبيحة وما هذه الرائحة؟!

زعيم الجواسيس:

- إنها ماسة يا سيدي حبيبة تميم.

- وعلى ماذا أحبّها هذا الأحمق؟!

- لقد كانت فتاة في غاية الجمال! لا أعلم ماذا أصابها!

خالتها:

- لقد أصابتها حُمى شديدة يا سيدي أصابتُ عينيها
ووجهها، نحن عرفنا تميمًا هذا عن طريق الفقيد راشد،
تميم هو الذي كان يطارد ماسة يا سيدي، إذا سمعنا شيئًا
عنه سوف نقوم بإخبارك على الفور.

قائد الحرس:

- خذهما من أمامي أيها الأحمق؛ فلا أحتمل رائحة هذه

القبيحة!

فتذهب ماسة وخالتها عائدتين إلى منزلهما، تبتسم خالتها
في دهاء:

••• ————— •••

- ما رأيك في تفكير خالتك أيتها الجميلة؟
فتبتسم ماسة وهي حزينة كابتسامة الطفل الذي فقد
والديه إلى الأبد.

* * *

"قتلَهُمُ الحبُّ بعد أن قادهم إلى هنا"، هكذا كُتب على
الباب الدائري المؤدي إلى الغرفة الثانية. يدفع شاهين باب
الغرفة بقدمه ليدخلوا معًا ويخفض تميم رأسه ليتمكّن من
الدخول. في يمين الغرفة رسومات جميلة الشكل؛ كلُّ رسمٍ
تحتوي رجلًا وامرأة، ومكتوب أسفل منها أسماءهم،
ومنقوش بالياقوت على الحائط الأيمن "للحبِّ قتلى من
الحنن، وللحبِّ من الحزن نصيب".

في يسار الغرفة رسوماتٌ أخرى بلون أجمل، وأيضًا تحوي
كلُّ منهم رسمًا رجلٍ وامرأة، ومنقوش تحت تلك
الرسومات "بالحبِّ عاشوا حتى ماتوا وانتصر عندهم
الحب".

عامر:

- دعونا من هذه الغرفة؛ فهي لا تحوي سوى تفاهات!
خرجوا واحدًا تلو الآخر وتميم خرج أخيرًا وإذا بصوتٍ
يهمس في أذنه: رسمتك أنت وماسة ستكون هنا عما قريب

ولكن في أي ناحية يا تميم؟ فلا يلتفت تميم للصوت حتى
لا ينتبه رفاقه.

بينما جابر يعمل في ورشته وحارث يساعده كانت ماسة
في غرفتها وحيدة حزينة، قلبها لا وصف لحاله على عكس
حالة زوجة شاهين، وكان عُمال المناجم ينهون عملهم نهائياً
وبعدها يذهبون ليلاً مُجبرين ليعنوا في قصر الملك الجديد.
وها هو الملك مع أعوانه في جلسة وإذا به يستهلُّ
الحديث مخاطباً وزير الخزانة:

- نريد أن نبيع جزءاً آخر من خزانة الياقوت ليذهب
زعيم الجواسيس ليشتري به فتياتٍ من المُدن المجاورة
يصبحن خدماً في القصر الجديد، وسوف نُطلق عليه
"القصر الدائم".

قائد الحرس ضاحكاً:

- عليك أن تختارهنّ جميلات!

رقيب المدينة ساخرًا:

- سوف يشتريهنّ للملك ليس لك أيها القائد!

الملك:

- دعونا من مزاحكما! ماذا فعلت في أهالي الخونة الذين
دخلوا دار العميان؟
قائد الحرس:

- دعك من هذا الموضوع يا سيدي؛ فهل سمعت عن
أحد من قبل دخل الدار وخرج منها حيًّا؟! فقد استجوبتُ
أقاربهم وهم لا يعرفون شيئًا عنهم.
الملك مخاطبًا رقيب المدينة:

- هل اقتربنا من إنهاء القصر أم سأمكث هنا كثيرًا في هذا
القصر القديم الملعون؟

- نحن على وشك الانتهاء يا جلالة الملك.
- إياك أن تنسى أيها الرقيب أن يكون القصر أعلى من
كل القصور ويُزينه الياقوت من كل الجوانب كما لم يكن
أي قصر من قبل.
- كيف لي أن أنسى هذا جلالة الملك؟!

تميم ورفاقه يتجهون إلى الغرفة الثالثة ذات الباب المثلث
الشكل، وهي ناحية اليمين بجوار الغرفة الثانية ومكتوب
على بابها "الذئب لا يخاف الأفعى وسمومها طعامٌ له".

يدفع عامر باب الغرفة الثالثة، تفاجأوا جميعًا بفحيح
الأفاعي التي خرجت من كل صوب من الغرفة، يصرخ نوح
ويخرجون مسرعين من تلك الغرفة ويغلق تميم بابها، يقول
عامر:

- كانت ستذكرُ بأنها أسوأ نهاية فنحن لم نصل حتى
لمنتصف الدار!

شاهين:

- لا أظن بأننا سوف نخرج! هل تعرف سبيلًا للخروج
من هنا؟!

نوح وهو خائف:

- أيُّ خروج؟! هل تظن أنك إن خرجت حيًّا دون شيء
فإنه سوف يدعك جنود القلعة وحالك؟! ستموت وحيدًا
في السجن!

عامر:

- لن أخرج من هنا دون الياقوت!

تميم:

- دعونا من جدالهما الآن ولنُكمل ما بدأنا!

يتحركون ناحية الغرفة الرابعة ذات الباب المربع الشكل،
يلحق بهم شاهين بعد أن توقف بضع ثواني، يجدون بابها
كُتِب عليه "في كلِّ مدينةٍ حكيمٌ وحكمةُ البلادِ تكمن هنا".
ها هو القصر الملكي الجديد قد تمَّ بناؤه وانتهى تزيينه كما
لم يكن قصرًا من قبل في القلعة ولا حتى غيرها، ويا لها من
مصيبة أنَّ هذا القصر نشأ من قُوتِ أهالي المدينة وتأثرت
حياتهم بسبب ما أنفقَ في إنشائه من بيع الياقوت، وزادت
خيبتهم حينما تبادلوا الياقوت مع مدن أخرى في مقابل
فتياتٍ جميلاتٍ يخدمن في القصر، ويحيي زعيم
الجواسيس بالفتيات من مدن مختلفة بينما رقيب المدينة
يُعِدُّ لحفلٍ كبيرٍ في القصر يحضره كبار الحراس وأعوان
الملك ويُشعل الحفل هؤلاء الفتيات بتقديم الشراب
للضيوف، وبينما يتوافد الزوار من المدن المجاورة يبدأ
إيقاع الموسيقى لتُغني إحداهن وترقص أخرى بعد أن
أمرهن رقيب المدينة بذلك.

وإذا بتلك الفتاة اللطيفة تُغني:

في كلِّ القصور

ولكلِّ الملوكِ

لا يكن ما كان

من ذكاءٍ وجلال

لملك سالا مدينة الجمال
هيا لرقص معًا ونُغني
دُقُّوا الطبول ارفعوا الإيقاع
في القصر الدائم
ناي معه ناي
وكل ناي للملك يُغني.

ذهل الحضور من كلمات الأغنية وزاد ذهولهم من هذه
التي تُغني وكاد الملك أن تفارق عيناه جسده من كثرة
التبريق للفتاة التي ترقص وتُغني؛ فهي ليست بالطويلة ولا
القصيرة، ناصعة البياض، واسعة العيون، لها حركات على
إيقاع الموسيقى تدبُّ الشوق في كل من ينظر إليها. ينتهي
الحفل ويأمر الملك بتلك التي رقصت في غرفته، يبادر
الحديث معها، يسألها:

- ما اسمكِ أيتها الرائعة؟

- اسمي مليكة.

- وكم عمرك يا مليكة؟

- ٢١ عامًا.

وكانها سحرت للملك الذي وقع في غرامها، فيقول لها:

- من اليوم سوف تكونين هنا لي أنا وحسب ولن ترقصي إلا أمامي أنا.

وانتهت ليلة الفتاة في سرير الملك.

وكانه أول يوم لملك سالا في الحياة ولا يريد أن يفارق مليكة لحظة واحدة، يبدو على مليكة الشجاعة والفتنة، بعد مرور أيام عليها في القلعة بدأت تعرف شيئًا فشيئًا والملك يزدادُ تعلقًا بها، وزاد هوسه بها بعد أن همست له ذات ليلة بأنها تحمل ابنه في بطنها وأنها حبلى، وأخبرته بأنه على ما يبدو سيكون ولدًا؛ فإعلن الملك للجميع بأن مليكة هي سيدة القصر وأميرة المدينة، يسمع قائد الحرس ذلك الخبر فيزيد حقدَه ولكنه لا يُبديه، ورقيب المدينة لا يعرف النوم قلقًا من الخادمة التي جلبها بيده لتُصبح أميرة بعدها. أصبحت هذه الفتاة حديث المدينة وكانت تُظهر للملك كل الحب والحنان وازداد نفوذها في القلعة حتى أصبح أعوان الملك ينادونها: يا سيدتي.

هذه المرأة التي لم تعد فتاة على الرغم من جمالها ورقتها في الحديث إلا إنَّ في داخلها محبة للسلطة؛ فأضحت وكأنها الأمر والنهي في القلعة.

وفي منتصف الليل، الملك وحبيبته مليكة في غرفة نومهما
وإذا بها تُبادر الحديث وهي تُحرِّك شعر الملك بكل أنوثة
قائلة:

- سيدي، ما رأيك أن تجعلني أزور مناجم الياقوت في
موكب عظيم؟

- هل جُننتِ يا مليكة؟!

- وما الجنون في ذلك؟!

- لن ينفع هذا الأمر! فماذا لو تجمَّعوا علينا أو دبَّر أحد
لنا مكيدة؟!

- سيخرج معنا الحرس وضباع القلعة.

- ونترك القلعة وحدها؟! وربما تُدبِّر لنا مكيدة من
داخلها فنخرج ولا نعود أبدًا!

مليكة وهي تتظاهر بالحُزن:

- كما تريد سيدي!

الملك يقترب منها:

- دعيني أدبِّر لهذا الأمر، ولكن ليس غدًا، بل بعد عدة
أيام.

يفتح نوح باب الغرفة الرابعة، يقرأ عامر وهو يتلقّت: "في كلّ مدينةٍ حكيمٌ وحكمةُ المُدنِ تكمنُ هنا".

عامر يضع يده على كتِفِ تميم وهو يضحك:
- يبدو أننا سنخرج من هنا ونحن نحمل الأوراق لا
الياقوت الرمادي!

شاهين:

- هذا إذا خرجنا أيها الذكي!
يدخلون إلى الغرفة الرابعة، يتردد شاهين في الدخول،
يصرخ فيه عامر:

- هيا يا رجل وكفاك جُبْنًا!

تتساقط عليهم الورود من كل صوبٍ ويجدون في نهاية
الغرفة شجرة جميلة الشكل، ترقزقُ عليها العصافير،
وبجوار الشجرة يرون رجلًا كبيرًا في السن، له لحية كثيفة
يُزينها الشعر الأبيض، وله شعر كثيف في رأسه ينسدل على
أذنيه، ويجلس بجواره ذئب لونه رمادي، عيناه حادّة كعادة
عيون الذئاب، ينظرون جميعًا في تعجّبٍ وينظر إليهم
الرجل بعد أن عوى ذئبه.

يبادر نوح بالحديث:

- مَن أنت أيها العجوز؟!

عامر:

- يبدو أنه لا يتحدث!

شاهين:

- هيا بنا قبل أن نصبح غداءً للذئب!

تميم ينظر في صميتٍ وتعجبٍ.

يبدأ العجوز حديثه:

- أول الحكمة الصمت، وأول الصمت الأدب، وأول الأدب العقل، وأول العقل الهدوء، وأول الهدوء التأمل، وأول التأمل القلب، وأول القلب الحب، وآخر الحب الحياة.

يزداد عجبهم من هذه الكلمات الجميلة التي تحمل في طيها فلسفة عميقة، يُكمل العجوز حديثه:

- مَنْ يظن أنّ هذا الذئب ليس بحكيم يخرج من منزلي، ومَنْ يظن أنني لستُ بصاحبه يخرج من منزلي، ومَنْ أراد أن يعرف شيئاً من الحكمة يبقى صامتاً حتى يتعلّم. سوف أخبركم خمس حِكَمٍ، في كل شهر حكمة، ومع كل حكمة قصة، أعلم أنّ طعامكم الذي جئتم به معكم قد أوشك على الانتهاء، لكم هنا طعام وشراب، سوف تبقون هنا معي خمسة أشهر حتى تتعلموا شيئاً ينفعكم ويثقل رؤوسكم.

الحكمة الأولى تقول: "مَنْ يفرح بالحياة عليه ألا ينسى الموت، ومَنْ يفكر في الموت عليه ألا يتعسّ بالحياة".
هذه هي الحكمة الأولى، وأما قصتها؛ من ثلاثمائة سنة كنتُ أمكثُ في هذه الغرفة وفتح بابها قطعاً من الذئاب شكى كبيرهم بأنّ الضباع سيطرت على المدينة، وأنهم قتلوا ذئبته، وأنّ الضباع لا تسكن مكاناً إلّا ودمرته، وأنّ بقية الذئاب صعدوا جبال المدينة خوفاً من الضباع ومن كثرتهم، وهم قد دخلوا الدار أيضاً خوفاً من الضباع، فصاح أحد الذئاب: صرختُ فيكم ألا تهربوا؛ فمَنْ يدخل الدار من الذئاب يصبح رمادياً ولا يغادرها إلّا إذا حصل أحد على الياقوت؛ فها نحن أصبحنا مصائرنا مُعلّقة بالإنسان، وبعض الأناسي مثل الضباع؛ إذا تحكّموا في أمرنا فسوف تتم إهانتنا!

ليرد عليه ذئب آخر: لا عليك؛ فالإنسان أهون من الضبع، وإذا عدنا فسوف ننقم من الضباع.

يرد الذئب الثائر: وما فائدة الانتقام ونحن أسرى؟!
فيُنهي كبير الذئاب الحديث قائلاً: مَنْ يفرح بالحياة عليه ألا ينسى الموت، ومَنْ يفكر في الموت عليه ألا يتعسّ بالحياة.

مرَّ الشهر الأول لهم في غرفة الحكيم. في بداية الشهر الثاني يبادرهم الحكيم بالحديث قائلاً: وأما الحكمة الثانية تقول: "في سياسة المدن خطرٌ كبيرٌ ويزولُ هذا الخطرُ بالحكمة، وتكونُ نهايةُ آثارِ الخطرِ بالذكاءِ الذي يصحبه هدوءٌ".

هذه هي الحكمة الثانية، وأما قصتها؛ ففي القِدَم كان هناك مدينة اسمها المرسا - ينظر العجوز إلى تميم الذي ينتبه لنُطقِ اسم مدينته - وكانت مدينة المرسا صحراء تُمطر سماءُها في فتراتٍ زمنية تختلف من عام لآخر، وكان أهلها في خصامٍ دائمٍ، قادهم أحد الشباب فأصلح بينهم، وكان كلما تأتيه مصيبة يتصرف بالحكمة والذكاء الذي يصحبه هدوء، ومن ثم عمّر هذه المدينة وقام بزرعها من كل أنواع الثمار بعد معرفته بأحوال طقس المدينة ومعرفة تغيراتها، وذهب لإحدى المدن وقام بشراء كل أنواع البهائم والحيوانات الأليفة لتُصبح هذه الصحراء بعد أعوام مدينة تملأها السعادة، البهجة والخير، ويُصبح هذا الشاب أول حاكم للمدينة وكلهم أصبحوا يأتُمرون بأمره ويحبونه؛ فلولا الحكمة لِمَا تغيّر حالهم من صحراء إلى مدينة. وها أنا قد انتهيتُ وذئبي جاع؛ فهيا اذهبوا قبل أن تغلبه شهوته وينسى حكمته ويتغذى على أحد منكم.



حارث:

- يا عم جابر، أريد أن أعمل في مناجم الياقوت.
- وهل نحن نُكفي عملنا حتى تعمل بالمناجم؟! ثم إنك ما زلتَ صغيرًا على ذلك وعمل المناجم صعب للغاية!
- ولكنني لا أحبُّ العمل في الورشة! ثم إنك تعرف بعضًا من رجال المناجم، سوف يدبرون لي عملاً مناسبًا لعمري؛ فهناك رفاق لي يعملون بالمناجم.
- لا تناقشني في ذلك الأمر؛ فلا عملَ بالمناجم، كما إننا نريد أن نبعد عن الأعين بسبب ما فعله ذلك الغريب تميم!
- لقد أخذتُ قراري وسوف أعمل هناك، يجب أن تساعدني أن أجد عملاً يناسب عمري!
- جابر وبعد إصرار حارث:
- لك ذلك، ولكن إذا لم تجد العمل مناسبًا لك لتعد على الفور إلى الورشة.

حارث وهو يبتسم:

- بالطبع سيدي جابر.

في اليوم الأول لحارث بمناجم الياقوت يجد الحرس في كل ناحية من المناجم وكأنَّ المدينة سوف يتم احتلالها ليعرف أنَّ موكب الملك والخادمة التي تُسمى مليكة والتي أصبحت ملكة على وصول للمناجم، وأنَّ كل تلك الاستعدادات لاستقبالهم وأنها سوف تدخل المناجم من الطريق الذي يؤدي من القلعة إلى المناجم مباشرةً، وكلُّ من رقيب المدينة وزعيم الجواسيس وقائد الحرس في المناجم، أما وزير الخزانة فهو بجوار موكب الملك. في زحمة عُمال المناجم يبدأ حارث يومه الأول بكل شغف وتركيز ويستمتع لكل مَنْ يناديه حتى وإن كانوا يدعونه في آنٍ واحدٍ، فيلاحظه زعيم الجواسيس ويتعجَّب من مدى تركيزه وقدرته على الاستماع وتلبية الجميع بخفَّة حركته فيتقدم إليه في هذه الزحمة ويشدُّه من يديه قائلاً:

- ما اسمك أيها الفتى ومَنْ أبوك؟!

-اسمي حارث، وأبي هو السيد راشد.

- كنتُ أعرف أباك جيِّداً، لقد رحل عن عالمنا، ما رأيك

يا حارث في عملٍ جُهدَه أقل بكثير من ذلك وسوف تحصل على أضعاف راتبك هنا؟

- وما ذلك العمل الذي يجلب كل تلك الأموال؟!

- تعمل معي.

حارث في مكر:

- وماذا أعمل معك يا سيدي؟!
- أن تنقل لي ما تسمع من أخبار المدينة والأشياء المريبة فيها فتُصبح مساعدِي وتُصبح رجلاً شجاعاً حينها وتحافظ على سلامة مدينتك من الخونة الأشرار.

حارث في سخرية:

- تريدني أن أعمل جاسوساً؟!
- لا يُسمى مَنْ يحافظ على أمن المدينة بالجاسوس!
- نحن نسميه جاسوساً، وبعض منا يسميه خائناً، وربما نسميه بأسوأ من ذلك!
- يبدو أنك لا تريد أن تُصبح غنياً!
- لا أريد أن أصبح خسيس الفعل!
- تحدّث بأدبٍ أيها الفتى وإلا تبیت تحت جدران السجن!
- أن أبيتَ تحت جدران السجن خيرٌ من أن أبيتَ تحت ألسنة الناس وسُبابهم!

زعيم الجواسيس وهو يغادر:

- كما تريد يا حارث، ولكنني أنتظرك، وإذا أردت أن تعمل معي فسوف أرحبُ بك في أي وقت.

ويحلُ الصمتُ فجأةً مع بداية دقات الطبول للموكب الذي يصل وتظهر فيه السيدة مليكة وملك سالا فيراها كل من في المناجم، ومن ثم تبادر بالحديث من أعلى الموكب فتتوقف دقات الطبول حتى يُسمَعَ حديثها:

- أهلاً بالرجال البواسل عُمال المناجم أهل الشدة والحزم، الملك يُثني عليكم ويمدح أعمالكم أيها الرجال. والملك يجلس بجوارها ويتعجب لفصاحتها مبتسماً، وينظر كل من قائد الحرس ورقيب المدينة لبعضهما في حقدٍ على حديثها. تُكمل مليكة حديثها:

- وبأمرٍ من سيدي الملك سوف يزيد راتبكم من اليوم، وسوف تزيد ساعات الراحة لكم؛ فأنتم أساس المدينة ومصدر رزقها، سلمتُ أياديكم يا عُمال الياقوت. يعلو صوت الناس في آنٍ واحدٍ: "عاش الملك والمملكة، عاش الملك والمملكة".

رقيب المدينة بصوتٍ خافتٍ جداً:
- أيتها اللئيمة العاهرة!

قائد الحرس:

- هذا ما جلبته يدك أيها الرقيب الأحمق!
ويُصبح حديث المدينة عن كرم الملكة التي كانت مجرد
راقصة تُغني جاءت لتخدم في القصر فأصبحت ملكته وكأنَّ
اسمها فيه شيء من الحظ، وتحدثوا عن سحر جمالها
وفصاحة حديثها.
خالة ماسة:

- هل سمعتِ ما يتداولون عن الملكة؟
ماسة في تعبٍ وكأنَّ لسانها يتحرك على شوكة:
- قالوا إنها جاءت راقصة!
- إنها ترقص بعقلها قبل جسدها، أعرف هذه النوعية
من النساء جيداً.
ماسة وهي تبتسم:
- كم غريبة تفسيراتكِ يا أمي!
- ابقِي أنتِ هكذا حتى يقتلكِ الحزن!
- ليتَه يفعل! ليتَه يفعل!

* * *

في الشهر الثالث، الحكمة الثالثة، يبدأ الحكيم قائلًا: اليوم
أول الشهر الثالث، وهو موعد الحكمة الثالثة، وهي: "لا

تُقَارَنُ نَفْسُكَ بِالْآخَرِينَ؛ فَرَبِمَا حَالُكَ أَفْضَلُ مِنْ حَالِهِمْ وَأَنْتَ لَا تَدْرِي".

وقصتها؛ كان هناك قطيعٌ من الذئاب يسير في غابات مدينة وينسلز - بينما يحكي العجوز، الذئب ينظر إلى عامر ونوح - وإذا بالقطيع يسير وفجأة يقع أحد الذئاب في حفرة وتنكسر قدماه فيعوي صارخًا بأعلى صوته من شدة الألم، فيقول له قائد القطيع: سوف تبقى هنا، عليك أن تنتبه؛ فالذئب إن لم يكن مُنْتَبِهًا وعيناه حادة النظر ضاع وضيعٌ من حوله، سوف تبقى هنا حتى نعود من الصيد؛ فإن بقيت حيًّا فسوف نُخرجك من مكانك، وإن مِتَّ فهي عاقبة غفلتك. ثم ذهبوا كلهم تاركين هذا الذئب وراءهم يعوي في الحفرة من شدة الحزن لا من شدة الألم، فسأل الذئب نفسه وهو يتألم: لماذا أنا الذي وقعتُ؟! وَلِمَ لَمْ يقع ذئبٌ غيري في الحفرة؟! لتمر الساعات ويأتيه أحد الذئاب الذين كانوا في القطيع مُحدثًا إياه وهو يصرخ: لقد قُتِلَ كل الذئاب التي كانت في القطيع! لم يبقَ إلا أنا الذي استطاع الهرب! قد هاجمتنا الأسود من كل صوب وكان عددهم ضعف عددنا! كانوا قد دبّروا كل شيء ليوقعوا بنا وقد حدث! لينظر إليه الذئب الواقع في الحفرة قائلًا: "لا تُقَارَنُ نَفْسُكَ بِالْآخَرِينَ؛ فَرَبِمَا حَالُكَ أَفْضَلُ مِنْ حَالِهِمْ وَأَنْتَ لَا تَدْرِي".

عامر:

- تَبَقْتُ حَكْمَتَانِ، هِيَ أَيُّهَا الشَّهْرُ مُرَّ سَرِيعًا؛ نَرِيدُ أَنْ نَخْرُجَ مِنْ هُنَا، لَقَدْ مِلْتُ!

شاهين:

- هَلْ نَحْنُ أَطْفَالٌ؟! مَا هَذِهِ الْحِكْمُ؟!

نوح:

- حَتَّى تَتَعَلَّمَ مَا لَمْ تَتَعَلَّمْهُ فِي صَغَرِكَ.

تميم:

- وَتَتَعَلَّمَ أَيْضًا مَا لَمْ تَتَعَلَّمْهُ فِي كِبَرِكَ.

يَمُرُّ الشَّهْرُ الثَّالِثُ وَيَهْلُ الشَّهْرُ الرَّابِعُ وَيَبَادِرُهُمُ الْحَكِيمُ قَائِلًا: هَلْ أَنْتُمْ مُسْتَعِدُونَ لَسَمَاعِ حِكْمَةِ الْيَوْمِ؟

شاهين:

- اسْتَيْقِظْ يَا نُوحُ، الْيَوْمَ مَوْعِدُ الْحِكْمَةِ الرَّابِعَةِ.

عامر:

- دَعِهِ نَائِمًا، أَتُظَنُّهُ سَوْفَ يَفْهَمُ؟!

نوح وهو يستيقظ:

- سَوْفَ أَفْهَمُ أَيُّهَا الذِّكِيُّ!

تميم يبتسم:

- أَكْمَلْ نُومَكَ يَا نُوحُ، سَوْفَ نَحْكِيهَا لَكَ فِيمَا بَعْدَ.

- لا، سوف أستمع، أحبُّ النظر إلى الذئب وهو يستمع
مثلنا.

الرجل الحكيم:

- هل أنتم مستعدون؟

عامر:

- نعم يا سيدي، تفضّل.

- الحكمة الرابعة تقول: "السياسةُ لُعبةٌ لا يفهمها كلُّ
الرجال؛ فلا تأمن لأحدٍ أصبح في قلعةِ الحُكمِ مثلما لا تأمنُ
لضبعٍ تمكثُ أنتَ وهو في غرفةٍ واحدةٍ؛ فلن ينامَ الضبعُ
حتى تنامَ أنتَ، وإياكَ أن تنامَ أنتَ والضبعُ ما زال مستيقظًا؛
إذا لا نومَ في السياسةِ؛ فهي غرفةُ الضُّباعِ".

وأما قصتها؛ منذ خمسة قرون وفي مدينةٍ ما كان الملك
رجلاً عجوزًا وابنه الذي سوف يتولّى بعده شابًا يافعًا، وبعد
أن تعلّم الابن السياسة وعَرَفَ كل خباياها لم تعجبه
سياسة أبيه، وفي إحدى الليالي وضع السُّمَّ لأبيه في الشراب
حينما كانوا يتسامرون، وأخذ الملك العجوز الكأس في يده
ليشرب ثم أوقعه من يده عن قصدٍ وأخرج خنجرًا فقتل
ابنه وهو يقول: أو تظنني بأني لم أفعل ذلك في جدِّكَ أيها
الغبي؟!

إنه الملك التعيس الذي قتل أباه وقتل ابنه، وهكذا؛ لا أمان في سياسة ولا نوم فيها.
مع نهاية الشهر الخامس بقيت لهم عند الحكيم حكمة واحدة.

يبادر العجوز الحكيم بالحديث قائلاً:
- استعدّوا، اليوم موعد الحكمة الأخيرة، واليوم سوف تغادرون من الدار.

الحكمة الأخيرة نصّها: "ربما يوجد من هو أفضل منك فيما تفعل ولكنه لا يُبالي، وواجب عليك أن تحترم كل من يُنافسك".

وأما قصتها؛ ذات يوم كان الأسد يُحدّث حيوانات الغابة فقال لهم: هل تعلمون لماذا أنا ملك الغابة؟

ردّت الضباع: لأنك الحيوان الأقوى.

وقالت الفيلة: لأنك الحيوان الأذكى.

ثم قالت الثعالب: لأنه ليس هناك من يُنافسك.

فقال الأسد: لا شيء من هذا كله.

فقال النمر: إذا لماذا يا ملكنا؟!

قال الأسد وهو ينظر للجبل: لأنّ الذئب تُحبُّ صعود الجبال ولا تُحبُّ أن تكون بيننا.

وفي سلينيا؛ جابر يعمل في ورشته، زوجة شاهين تشتاق إلى زوجها حينًا ولا تُبالي في أكثر الأحيان، حارث يُتابع عمله في مناجم الياقوت، ماسة لا تُوصَف حالتها؛ فلا يعرف تلك الحالة إلا مَنْ ذاق حلاوة الحب ومرارة الفقد، وكل أهالي المدينة أصبحوا يحبون الملك هذا الذي غيَّر حاله الحب؛ فليس هناك أقوى من الحب في تغيير إنسان، وأصبح يرجع إلى زوجته مليكة في كل شيء؛ فزاد الياقوت وأصبح الناس يحبونه لدرجة نسيانهم كيف أصبح ملكًا وكيف بنى قصره ونسوا أنه صعد إلى منصبه بالدماء!

وازداد ضجر زعيم الجواسيس الذي قلَّ عمله بعد أن أصبح حديث المدينة الثناء على الملك وزوجته، وأيضًا ازداد ضجر قائد الحرس الذي أصبح يتفق مع رقيب المدينة بالرغم ما بينهم من كُره، وأما وزير الخزانة فلا يهمه من الأمر شيء؛ فكلُّ اليواقيت والأموال تحت عينيه، وكلما زاد الياقوت زاد راتبه ومكانته.

توالى الأيام وهكذا الحال؛ يوافق قائد الحرس الملك في كل قراراته وهو في أشد الضيق منها ويُعارضه بكل أدب لكنه يخضع في النهاية لقرارات الملك، وليس عنه رقيب المدينة ببعيد؛ فهو يفعل مثله.

وفي أحد الأيام فجأة هنالك صراخ في القصر؛ الخادמות تجري في كل ناحية وتأتي إحداهن مسرعة مُبشِّرة للملك: سيدي سوف تلد ابنها الآن جلالة الملك!

يقوم الملك مُسرِّعًا إليها ومن ورائه أعوانه، يملأ قلوبهم الحقد بخلاف وزير الخزانة، يجد الملك باب الغرفة مغلقًا ومعها الخادמות، كلُّ منهنّ تجلب شيئًا، يتحرك الملك ماشيًا في كل أنحاء القصر حتى سمع صوت صراخ الطفل، فتأتي إحدى الخادמות وهي تقول: إنه ولد يا سيدي! ليقول الملك فرحًا: إنه أميرنا الصغير! ويُظهر أعوانه البهجة والسرور نفاقًا.

يدخل الملك إلى مليكة التي تبتسم قائلة: انظر إليه، إنه يشبهك يا سيدي.

الملك: لا شيء في الدنيا يساوي فرحتي الآن! إني أحبك يا مليكة! إني أحبك يا مليكة!

يُخبر الملك حرسه بأن يعلنوا في المدينة خبر مولد الأمير، الخبر ينتشر في كل أنحاء المدينة، ثم يدعو الملك رقيب المدينة ويأمره بأن يهيئ لحفلٍ كبيرٍ لم تشهد المدينة مثله من قبل.

يبدأ الاستعداد لإقامة حفل مولد الأمير الصغير، ويُصبح حديث المدينة ذلك الحفل وينوي جميع الأهالي الذهاب

إليه؛ بعضهم لرؤية الفتيات وهنَّ يرقصن، ومنهم من يذهب لتناول اللحوم والشراب. هكذا اختلفت أمنيات أهل المدينة في حضور الحفل، حتى ماسة سوف تذهب للحفل بعد أن ألحَّ عليها خالتها، وها هو جابر يصحب حارثًا وبقيّة العائلة إلى الحفل ومعهم زوجة شاهين وكأنها لم تعد تهتم لأمر زوجها الذي تركها وحيدة.

مع دقّات الطبول تبدأ الموائد ويُوزَّع الشراب. قائد الحرس يخرج برفقة رقيب المدينة ومن ورائه زعيم الجواسيس، ويُبرق قائد الحرس عينيه في الفتيات ليأخذ منهنَّ من تعجبه، فتلاحظه خالة ماسة فتصرخ في أذن ماسة بأن تُغطّي وجهها، يلمح قائد الحرس زوجة شاهين عن بُعد فيسأل زعيم الجواسيس:

- من هذه الفتاة ذات الجسد الجذاب؟!

- هي زوجة شاهين الذي ذهب برفقة الشاب الغريب إلى دار العميان.

- اجلبها لي غدًا.

زعيم الجواسيس وهو يبتسم:

- أمرك يا سيدي القائد.

يخرج الملك في موكبه بجوار زوجته وابنه المولود أميرًا، يُغني الأهالي نشيد المدينة فتتذكر ماسة وهي واجمة

راجفة يومًا كهذا رآها فيه تميم، وتتذكر وصفه إياها حينها،
يبدأ رقص الفتيات على الموسيقى والطبول مع أغنية
قديمة للمدينة، وتقف الملكة بعدها لتخاطب الأهالي
قائلة:

- بأمير من سيدي الملك واحتفالًا بمولد الأمير، لكل فردٍ
من أهالي المدينة مائة عملة من كل نوع من الياقوت.
يفرح الأهالي قائلين بعلو صوتهم: "عاش الملك، عاشت
الملكة، عاش الأمير".
وينظر كلٌّ من قائد الحرس ورقيب المدينة لبعضهما
البعض في غضبٍ مما يحدث.

* * *

شاهين:
- للتو أستطيع التنفس براحتي! أخيرًا خرجنا من تلك
الدار!
نوح ضاحكًا:
- للتو خرجنا من الغرفة، ما زلنا في الدار لم نُحقِّق المُراد!
عامر:
- يا لها من أيام مُملة! مَنْ يُصدِّقُ مكثنا هنا خمسة
أشهر؟!

نوح:

- لماذا لم يخبرنا ذلك العجوز الخمس حكم في يوم واحد؟!

تميم:

- حتى يُعَلِّمَنَا الحكمة الأهم؛ ألا وهي الصبر.

تميم ورفاقه بِخُطُواتٍ ثابتَةٍ وبثقةٍ أكبر يتحركون إلى الغرفة الخامسة، وهذه الغرفة في المنتصف لا على اليمين ولا اليسار، ها هم يتجهون إليها والمسافة تبعد بينها وبين ما سبق من عُرف، الآن أصبحوا على مقربةٍ منها ليجدوا أنفسهم يسقطون في الأرض شيئًا فشيئًا، يصرخ شاهين، تميم يصمت خائفًا، نوح يرتجف، عامر يضحك قائلاً: إنه الموت!

يُصبح كل واحد منهم في حفرة تُغَطِّي نصف جسده لا يستطيع الحركة منها، ومع هول الموقف وتعجُّبهم مما يحدث وعدم قدرتهم على مقاومة الحُفر ينتهي الخوف بظهور أربع فتيات في غاية الجمال يرتدين فستانًا رماديًا في قمة الأناقة، وفي يد كلٍّ منهنّ ذئبٌ رماديّ، الفتيات يقتربن ويغطين تلك الحُفر بأقفاصٍ حديديةٍ وتقف كلٌّ منهنّ أمام حُفرةٍ وأجملهنّ تلك التي تقف على رأس نوح، فتقول إحدى الفتيات: لن تخرجوا من تلك الحُفر حتى ينشد كلُّ

منكم بيتًا من الشعر في الفتاة التي تقف على حُفرتها. وها هم مضطربو المشاعر مع ضيق أنفاسهم في تلك الحُفَر، وتغطيهم أقفاص الحديد، والذئاب تُظهر أنيابها القاتلة، والفتيات يضحكن.

يصرخ عامر:

- ما هذه الدار وما هذه الغرائب؟! هل أتينا هنا نتعلم الحكمة والحب؟!

شاهين:

- فلنفعل يا عامر وننتهي من ذلك!

نوح:

- وما الصعوبة في أن تفعل ذلك؟! بل هو شيء جميل يُطَيِّب على النفس ما رأيته من أهوال.

تميم وهو يُبرق عينيه في الفتاة التي تقف عنده ويتخيل بأنها حبيبته ماسة يقول:

- وليس أرى أجمل من وجهكِ

- ففي كل لحظة طيفكِ معي.

تبتسم الفتاة لأبيات تميم الذي لولا أنه يُفكر في ماسة لِمَا قالها. يقول تميم:

- هيا يا شاهين.

شاهين يقول:

- أطلقني سراحى فأنا أسيرك

- وقلبي عندك وقلبك معي.

تبتسم الأخرى من شعر شاهين.

ومن ثم عامر يقول:

- احكي على قلبي بعينيك

- يكتب قلبي وقلبك معي.

ومن ثم نوح الذي يكاد يُجنُّ من جمال فتاته وينظر لها
بكل شغفٍ يقول:

- لا تُطلقى سراحى أرجوك،

- ورفقًا بقلبي وابقى معي.

وتُظهر فتاة نوح كل السعادة والفرح لأبياته التي قالها من
قلبه.

تقول إحداهن: هيا أطلقن سراحهم. ومن ثم تختفي
الأقفاص الحديدية ويجد كلُّ منهم نفسه واقفًا على الأرض
ويُنقِّض كلُّ منهم التراب عن ملابسه. يقترب نوح من الفتاة
ليجدوا أنهنَّ قد اختفئتا مرة واحدة، يضحك عامر مخاطبًا
نوحًا:

- هيا أيها الرقيق، فهل وقعت في الحب؟!

يضحك شاهين:

- الحب تحت آثار الحبس!

يبتسم تميم مخاطبًا إياهم:
- هيا بنا إلى الغرفة الخامسة.

* * *

يدخل زعيم الجواسيس على قائد الحرس قائلاً:
- لقد جئتكِ بزوجة شاهين يا سيدي القائد، زوجة ذلك
الخائن.

- أدخلها الآن.

تدخل زوجة شاهين إلى قائد الحرس وكانت متزينة بأجمل
ما عندها من ملابس وحلي، يراها قائد الحرس ويزيد جنونه
بها ويُجلسها على كرسي الاستجواب ويقوم من مكانه
ويتحرك حولها سائلاً إياها:

- هل هناك أخبار عن ذلك الذي كان زوجك؟!
زوجة شاهين بكل رقة:

- لا يا سيدي.

قائد الحرس أشار إلى زعيم الجواسيس أن يخرج ويتركهما
وحدهما، يُحرِّك قائد الحرس يده على شعرها وهو يسألها:
- هل أنتِ متيقنة من ذلك أيتها الفاتنة؟!

- نعم يا سيدي!

يقرب منها أكثر، تقوم من مكانها مُسرعة وهي تقول:

- لو أردتني أن أصبح لك عليك أن تتزوجني!
- وماذا عن زوجك شاهين؟!
- أتظنهم سوف يعودون؟! لقد انتهى أمرهم!
- أنا أوافق بالتأكيد على أن أتزوجك.
- وتقوم بعمل حفل زواج لي.
قائد الحرس وهو يضحك:

- لك ذلك يا زوجتي وسيدتي!
تمر الأيام وتتزوج زوجة شاهين بقائد الحرس، تتعجب عائلة راشد وكذلك ماسة وخالتها مما فعلته هذه المرأة التي لم تعد زوجة شاهين، بل خاتنة شاهين وأصبحت زوجة قائد الحرس.

ماسة تتساءل:

- كيف فعلت ذلك؟!

خالتها:

- هناك نساء تجري الخيانة في عروقهن مجرى الدماء!
- يا له من فعلٍ دنيء!
- حقًا إنه فعلٌ دنيء أن تخون المرأة حبيبها، ولكن ربما سبب ذلك أنها فقدت الأمل في عودة زوجها.

- وإن كان! فهي خائنة على كل حال! فلولا إنها خائنة لما اختارت ذلك الخائن حتى تتزوجه!
- أو تظنين أنني سأرفض لو أتاكَ رجلٌ مناسبٌ للزواج؟!
- ولكن أنا سأرفضه!
- ألم يكفٍ ما رفضتِ من الرجال على أمل عودة تميم؟!
- ولكن قلبي يُحدثني بأنه سيعود!
- بافتراض عودته وهذا مستحيل أتظنينه سوف يُفكر بكِ وهو يحمل في يديه الياقوت الرمادي؟!
- هو لم ينسني حتى يُفكّر بي!
- خالتها في غضبٍ وسخرية:
- ابقِ هكذا تحلمين حتى يأتيكِ الموت؛ فالحُزن والأحلام الكاذبة تقتل صاحبها!
- هذا أفضل من أن أفعل مثل تلك اللعينة التي تزوجت بقائد الحرس!
- في منزل جابر يتناولون العشاء ويشغلهم نفس الموضوع؛ تبدأ زوجته حديثها عن زوجة شاهين وفعلتها. ثم يقول جابر:
- سوف يظهر خُبثها الآن ومكائدها!
- حارث:
- هذا هو حال السلطة مع الخائن.

زوجة راشد:

- ما لك ولهذا الحديث يا حارث؟! إياك أن تتحدث
بمثله في المناجم!
جابر:

- أو تظنينه لن يفعل؟! فماذا تأملين منه سوى ذلك
وكان أغلب جلوسه مع تميم السياسي البارع؟!
حارث:

- وما ذنب تميم في قولي؟! أتريد أن تنسب كل أفعالي
له؟!!

فينهض حارث غاضبًا من على الطعام ويذهب جابر حتى
يرضيه بشيء من المزاح.

إنها الغرفة الخامسة التي تكون في المنتصف لا على اليمين
ولا على اليسار، وراؤها الغرفة السادسة، ومكتوب على
باب الغرفة الخامسة "مدينة الثلاثين". يحاولون أن يدفعوا
الباب لكنه مغلق لا يفتح، يحاولون بكل عزمهم إلا إنه
مُغلق، يجدون من حول تلك الغرفة المغلقة الباب ومن
أمامها طيورًا مختلفة الأشكال والألوان، تسير في تناغم،
الصقر يُغني مع العصفور والنسر يُلحّن مع الغراب، وهكذا
يسيرون في دوائر أعلى الغرفة ومن حولها، كلٌّ منهم يُظهر
صوته في تناغم مع الآخر ويحلّقون أعلى سقف الدار؛ ذلك

السقف العالي جدًا غير الواضح بناؤه ولا ما يحتويه. يقول شاهين:

- يبدو أنّ الياقوت الرمادي هنا في تلك الغرفة المُحكمة الغلق!

عامر:

- ومن الممكن أن نلقى مصرعنا هنا!

نوح:

- ماذا سنفعل؟! إننا حاولنا بشتى الطرق أن نفتح ذلك الباب! وما المقصود بمدينة الثلاثين؟!

تميم:

- دعونا من هذه الغرفة وهيا لنرى الغرفة التي تليها، الغرفة السادسة.

عامر:

- أنا اتفق مع تميم، هيا بنا؛ فيجب ألا نُضيّع وقتًا. يتجهون ناحية الغرفة السادسة والتي كُتب عليها "هنا تصل إلى المجد". يقول نوح:

- من المؤكد أنّ الياقوت هنا!

تميم:

- يجب أن نأخذ حذرنا؛ فإذا كان الياقوت هنا فلا مفر من وجود مخاطر!

نوح:

- لقد مررنا بالمخاطر منذ دخولنا الدار!

عامر ضاحكًا:

- وأيُّ مخاطر في أن تتعلم الحكمة وتنشد شعرًا لفتاة جميلة؟!

شاهين:

- دعونا من مزاحكم وهيا إلى تلك الغرفة!

يقتربون من الغرفة السادسة على حذر، يدفعون بابها ولكنه لا يتحرك، يحاولون جميعًا في آنٍ واحدٍ ولكنَّ الباب لا يتحرك ولا حتى خطوة واحدة، فجأةً يلتفتون حولهم بسبب سماعهم صوتًا غريبًا يقول: لن تُفتح غرفة الياقوت الرمادي قبل أن تدخلوا إلى الغرفة السابعة والأخيرة.

شاهين:

- مَنْ أَنْتَ يا صاحب الصوت؟!

تميم:

- دُعْكَ من صاحب الصوت وفكّر فيما قاله.

نوح:

- إذا علينا أن نذهب للغرفة الأخيرة حتى نتمكن من دخول تلك الغرفة.

تميم ورفاقه في طريقهم للغرفة السابعة والتي تكون في
نهاية الدار وتبعد مسافة عن الغرفتين، يجدون فجأة تلك
الفتاة التي كانت أمام حفرة نوح وفي يدها الذئب وأعلى منها
تُحلّق الطيور التي كانت أمام الغرفة الخامسة.

شاهين:

- إلى أين ذاهبة تلك ومن أين ظهرت؟!

عامر وهو يبتسم:

- يبدو أنها تُقدّم جنازتنا؛ فأظن أنّ هذه طقوس الموت
بهذه الدار!

نوح في صمتٍ وحنان يقترب منها ويسير بجانبها.
تميم:

- هيا نكمل طريقنا إلى الغرفة الأخيرة ولا تلتفتوا إليها.
تنظر الفتاة لنوح والطيور ترقص أعلى منها والذئب في
يدها يُخرج أصواتًا غريبة، تبدأ الفتاة الغناء على ألحان
الطيور وموسيقى الذئب:

يا طيرٌ في السماء

تلمح عيونه فيها الحب

تسمع قلبه يحكي للهوى

شكله يقول إنه بيحب

لحظات البداية حكّتها ملامحه

نظرات الشوق تحكيها عيونه
زار الدار وقلبه خالي
من أي هوى وأي حب
رأى الجميلة ومن فوقها الطيور
قلبه طار أعلى من النسور
يا خوفي يكون بيكذب
يا ويلي يكون الوهم
أيام ونعرف نواياه
لو كان صادق له الروح
لو كان بيحب ملّكته القلب.

انتهت الفتاة من غنائها وهي تنظر لنوح الذي لا يملك
نفسه من جمال صوته مع روعة ملامحها.

* * *

تمر الأيام في سلينيا وكذلك تتوالى في القلعة المليئة بالمكر
حيث زوجة قائد الحرس التي كانت في الماضي زوجة
شاهين تقترب من الملكة التي كانت في الماضي مليكة
المُغنية الراقصة فتُصبح صديقتها وتمكث معها في أغلب
الأحيان ولكن تملأها الغيرة ويعميها الحقد على تلك

الجارية الغربية، وإن أظهرت زوجة القائد عكس ذلك. أما أعوان الملك فهم في أشد الغيظ بسبب أن ملكهم ينقاد في كل الأمور إلى زوجته مليكة أمّ ولده الأمير، وبسبب كثرة عطاياها للأهالي، ودائمًا ما تقول في كل هبة تعطيهم إياها: باسم زوجي الملك؛ فقد أمرني أن أهديكم هذا وذاك. يومٌ بعد يومٍ تمر في موكبها بين الأهالي الذين أصبحوا يحبون ملكهم كثيرًا ونسي أغلبهم ما حدث في الماضي من دماء؛ فها هي الراقصة الجميلة تُسيطر على الملك الذي كان شريرًا وتسيطر على الأهالي بالعطايا وتوطن السلطة لابنها الصغير.

وهل تظن هي بأنّ ضباع القلعة من رجال وحيوانات سوف يدعونها وحالها؟!
قائد الحرس:

- الأمر أصبح مُريبًا وفقدنا السيطرة على المدينة.

زوجته:

- كل ذلك بسبب المال الذي تُخرجه الراقصة اللعينة!
- هل تظنين بأنني سوف أدعها وشأنها؟!
- ماذا سوف تفعل؟! فإنّ الملك لا يسمع لأحد غيرها!
- وماذا؟! هل أقف مكتوف اليدين؟!

- اذهب لوزير الخزانة وحدثه بأن يخاطب الملك لأنَّ القلعة سوف تفقد أموالها بسبب هذا التبذير على الأهالي. يقف قائد الحرس من فوره ويتوجه في ساعات الليل المتأخرة إلى وزير الخزانة، يأذن له الخدم بالدخول بعد أن أيقظوا الوزير قائلين له بأنَّ قائد الحرس يريد في أمر هام؛ فاستيقظ من نومه ثم قال:

- خيرًا يا قائد! ما هذا الأمر الذي يستدعي زيارتك في ذلك الوقت؟!

- تتصرفون في خزينة الأموال بكل وقاحة وتقول لي ما الأمر؟!

- أظن أنه يُعجبني ما يحدث؟! ولكنها زوجة الملك وهو على معرفة بما يحدث ويعجبه الأمر! - افعل اللازم بتهويل الأمر للملك وأنَّ القلعة سوف تفقد أموالها!

- سوف أفعل هذا في الصباح ونحن جميعًا في المجلس ولننظر ماذا سوف يفعل.

يخرج بعدها قائد الحرس من عند وزير الخزانة. لوزير الخزانة خادمٌ شابٌ يبدو عليه الذكاء ويشاوره الوزير في كل الأمور وهو بمنزلة المعاون لا الخادم. وزير الخزانة يخاطب معاونه قائلاً:

- هل رأيتَ ما حدث؟ ربما لو اتبعتُ كلام قائد الحرس يغضب مني الملك لغضب زوجته بنقاشي في هذا الأمر!
- افعل ولكن ليس كما قال لك؛ افعله بطريقةٍ أفضل؛
ابدأ خطابك بأنّ تلك العطايا هي شيء جميل ولكن يجب أن نُخفّف منها لأجل استمرار احتياطي الخزينة، وهكذا لن يغضب الملك ولا قائد الحرس.
- لكن لقائد الحرس الكثير من الأتباع وأظنه سوف يُدبّر مكيدة لي إن لم أتبعه!
- سوف يعجبه ذلك الأمر إذا سمع الملك ما تقول وخفّف من العطايا وتكون قد أَرْضِيتَ الطرفين.
وزير الخزانة في إعجاب:
- تملك عقلًا سياسيًا أيها الشاب!

* * *

من أمام الغرفة السابعة التي كُتِب على بابها "لا تظنها الغرفة الأخيرة؛ فهي أول ما تم إنشاؤه في هذه الدار".
يدفع الذئب القادم مع الفتاة باب الغرفة وهو يعوي، يُفتح الباب وتدخل الفتاة من بعده لاحقًا بها تميم ورفاقه، فيجد تميم الرجل المجنون يجلس على كرسي في نهاية الغرفة وبجواره امرأة، يُبادر الرجل المجنون بالقول:

••• ————— •••

- اقتربت من الياقوت الرمادي يا تميم وكم عانيت أنت ورفاقك حتى تصلوا إلى هنا!
شاهين متعجبًا:

- ألسَّ المجنون الذي كان يسير في شوارع سلينيا؟!
- لم أكن مجنونًا يومًا يا شاهين ولكني هكذا أسير بينكم وهذه التي بجواري هي زوجتي.
أما عن زوجته فهي امرأة متوسطة الجمال تجلس على كرسي بجواره لها هيبة تشرق عينيها في الجميع.
تبادر المرأة زوجة المجنون بحديثها:

- الياقوت الرمادي في الغرفة السادسة ولن تحصلوا عليه إلا بعد أن تفعلوا ما أخبركم إياه، قد رأيتكم جميعًا الغرفة الخامسة وهي الغرفة المؤدية إلى مدينة الثلاثين.
عامر:

- ما لنا ولهذه الغرفة؟! قد كان بابها موصدًا لا يُفتح!
- لن تحصلوا على الياقوت الرمادي حتى يذهب أحدكم مُضْحِكًا بالياقوت في رحلةٍ إلى مدينة الثلاثين وسوف تذهب معه تلك الفتاة وذاك الذئب. قالته زوجة المجنون.
شاهين:

- وماذا يوجد في مدينة الثلاثين؟!

- هل أتيتُ إلى هنا حتى أحكي لك ماذا يحدث في مدينة
الثلاثين وما قصتها؟!
عامر:

- ومتى يخرج مَنْ يدخلها وكيف يخرج؟!
الرجل المجنون:

- لا أحد يعلم متى خروجه ولا حتى كيف؛ فربما لا يخرج
أبدًا وربما يخرج سريعًا.

بينما هم في حيرة من أمرهم وكأنه لا أحد يريد أن يُضحّي
يُقاطع حيرتهم نوح قائلاً:

- مَنْ يدخلها هل تتركه الفتاة عند نقطة معينة أم سوف
تبقى معه للأبد؟
زوجة المجنون:

- مَنْ يدخل مدينة الثلاثين سوف تُصبح هذه الجميلة
زوجته وحبيبته حتى الموت.

نوحٌ في لهفةٍ وفرح:

- وأيُّ تضحيةٍ إذا كانت هذه الجميلة رفيقة الدرب إلى
الأبد؟! أنا سوف أذهب إلى مدينة الثلاثين ولا أظن أن مَنْ
يرافق هذه الجميلة سوف يواجه خطرًا!

تبتسم الفتاة وكأنها قمر في ليلةٍ شديدة الظلام.
شاهين:

- هل تفعلها يا نوح؟!

- نعم، وما الإشكال في ذلك؟

عامر يضحك:

- منذ طفولتك تُحب المغامرات!

تميم يصمت وكأنه يخشى على نوح ولا يريد أن يُظهر ذلك. فيقول الرجل المجنون:

- عليك أن تذهب الآن يا نوح.

يودّع نوح رفاقه ويغادر برفقة الفتاة مع ذئبها إلى الغرفة الخامسة التي تؤدي إلى مدينة الثلاثين. تقول زوجة المجنون:

- هذه التضحية الأولى، وأما التضحية الثانية فسوف تعرفونها بعد دخولكم إلى الغرفة السادسة.
شاهين:

- ما هذه التضحية؟! هل يموت أحدا أم ماذا؟!

الرجل المجنون:

- لا تسأل وسوف تعرف هناك.

عامر:

- أنا سوف أذهب إلى غرفة الرمادي مهما كانت التضحية، أنا لم آتِ إلى هنا حتى أهرب في النهاية!
تميم وهو ينظر إلى شاهين:

••• ————— •••

- كما قلت يا عامر، سوف نذهب أيًا يكن نوع التضحية.
شاهين ساخرًا:
- إلى الموتِ يا رفاق!

* * *

في مجلس الصباح يوجد كل أعوان الملك وكذلك زوجته.
يقول وزير الخزانة:
- هناك أمرٌ هامٌ جلالة الملك.
- تحدّث أيها الوزير.
- في الآونة الأخيرة كثرت العطايا للأهالي، وهذا الأمر رائع
للغاية؛ فأصبح جميع شعب سالا ينادون باسمك، وهذا
أمر رائع، لكن كثرة العطايا سوف تؤثر على الخزينة؛ فلا
أقترح أن نمنع تلك العطايا، ولكن نُقلّل منها حتى نحفظ
حُب الأهالي ونحفظ خزينة القلعة.
رقيب المدينة في غضب:
- يجب أن نمنع بالمرة؛ فنحن لا نخاف الأهالي حتى
يهمنا حبهم؛ فهؤلاء حين يشبعون يصبحون مثل الكلاب
الضالة، ويجب أن يظلوا جوعًا!
قائد الحرس:

- أرى أنّ اقتراح سيادة الوزير بارع، ولكن لي إضافة عليه؛
يجب أن تكون العطايا بواسطة الحرس، نحن نخاف أن
يُصيب الملكة أو الأمير الصغير أي مكروه، ونحن لا نعلم
مَن يندسّ وسطهم، وحتى الأهالي ليس لهم أمان؛ فهم
يحملون كل الحقد تجاه القلعة.
الملكة:

- لقد كنتُ فقيرة مُعدمة مثلهم ولا أظن أنّ بينهم مَن
يقطع يدًا تُمدُّ له أيها القائد! كما إنني أرى يا جلالة الملك
أن نُخفّف عطايا أعوانك لا عطايا الأهالي لأنّ أعوانك
يأخذون الكثير؛ إن أخذنا من كلّ منهم جزءًا بسيطًا فسوف
يكفي عطايا الأهالي دون أن نرجع للخزينة، وبهذا نحافظ
على الخزينة ولن يتأثر القادة والوزراء بأخذ ذلك الجزء
البسيط، كما إنّ مكانتهم محفوظة كما هي.
قائد الحرس في أشد غيظه ولكنه يكتّم، أما وزير الخزانة
يفهم أنّ الملك سوف ينقذ رأي زوجته على كل حال،
فأكمل بعدها وزير الخزانة قائلاً:
- إنه رأي صائب سيدتي الملكة وبه نحفظ الخزينة
تمامًا، كما إننا سوف نحفظ ولاء المدينة.
الملك:

••• ————— •••

- إذا كان وزير الخزانة يعلم أنه رأي صائب فها ابدأ في تنفيذه من الآن وخُذ من كل رجل من المجلس جزءًا قليلًا من ماله ولتفعل والده الأمير ما تُحب.

قائد الحرس:

- إنه رأي صائب جلالة الملك، ولكن أرجو ألا تُوزع سيدي الملكة العطايا بنفسها على الأهالي.

تغتاظ الملكة فتقول:

- سوف أفعله بنفسي؛ فلا أرى أي خطر في ذلك يا قائد الحرس!

الملك:

- إذا كنت ترى خطرًا أيها القائد عليك أن تُحيط موكب الملكة برجالٍ أشداء يستطيعون رعايتها!

قائد الحرس في مكر:

- كما تأمر يا جلالة الملك، وسوف يحرس موكب الأمير والملكة أكفأ الرجال وأكثرهم بسالةً وتضحيةً!

* * *

يتوجه تميم ورفاقه نحو الغرفة السادسة ويبقى المجنون وزوجته مكانهما.

عند باب الغرفة يقرأون من جديد تلك العبارة التي كُتبت على باب الغرفة السادسة "هنا تصل إلى المجد".

يدفع تميم الباب فإذا به يُفتح ومعه كلُّ من شاهين وعامر وقد فارقه نوح قاصدًا غرفة الثلاثين مع الجميلة التي أحبّها.

يجدون الكثير من صناديق الياقوت الرمادي في نهاية الغرفة، وبجوار الياقوت يجدون بابًا آخر مكتوبًا عليه "السجن".

يظهر الرجل المجنون فجأة:

- سوف يظهر لكم الآن الدب الرمادي ومن ورائه اثنان من الدببة، وهذه الدببة كبيرة الحجم شرسة وقوية للغاية، وفي أفواههم السلاسل، وسيكون عليهم أن يُسلسلوا واحدًا منكم ويلقوه في السجن، وهذا هو النوع الآخر من التضحية؛ أن يبقى في السجن عامًا كاملاً ثم يحصل ذلك الذي سُجن وهو خارج على ضعف ما يخرج به الاثنان منكم من الياقوت الرمادي، عليكم أن تقاوموا أو تتفقوا أن يُسلسل أحدهم من البداية.

شاهين:

- بالتأكيد لن أضحي بنفسي! يجب أن أعود حتى أنتقم!
عامر:

- ولستُ أنا بمن يُضحى بنفسه بعد أن غامرتُ ومررتُ
بكل ذلك!

تميم:

- لن أدخل أي سجن مرة أخرى ولا حتى يومًا واحدًا!
الرجل المجنون:

- إذاً على الدببة أن يختاروا، وسوف يهجم كل دبٍّ منهم
على واحدٍ منكم، مَنْ يتجاوز دبه ذاهبًا للياقوت الرمادي
ويحصل عليه سوف يختفي الدب الذي يُهاجمه.

وإذا بالرجل المجنون يختفي فجأةً كما ظهر فجأةً.

تخرج من جدران الغرفة الدببة حاملةً في أفواهها سلاسلَ
وتهجم كلٌّ منهمّ على شخص، يصرخ شاهين من الخوف
وإذا بالدب الهاجم على عامر يصرعه أرضًا ولكنه يقوم
مُسرّعًا ضاربًا الدب في عينيه، بينما تميم في موقف حرج
لإحدى قدميه التي لحقتها السلسلة، وشاهين ينظر إلى دبّه
وهو يبكي مرتجفًا، فرواغه شاهين الخائف مُسرّعًا إلى
صناديق الياقوت خاطفًا منها عنقودًا يحمل عشرِ قِطْعٍ من
الياقوت الرمادي فيختفي دبه، فإذا بشاهين يخرج من
الغرفة ولم يَمَسّه الدب.

يصيح عامر قائلاً:

- كيف فعلها ابن اللعينة؟! أو ينجح شاهين الجبان وأفضل أنا؟!

تميم يحاول جاهداً أن يفلت قدمه فيقطع رداءه مُلقياً إياه في الهواء ليلتفت الدب إلى ملابس تميم، فيُبعد تميم قدمه من السلسلة ويقف مرة أخرى في وجه الدب وجهًا لوجه وبجواره عامر. بينما يرجع كلاهما إلى الوراء عند باب الغرفة يهجم عليهما الدبان.

يظهر الرجل المجنون بينهما وبين الدين قائلاً:

- خرج شاهين وينتظركما ويمكنكما الخروج الآن، وربما يُعطي شاهين كليكما قطعة وسوف تُحقّق بعض رغباتكم. عامر ينظر إلى تميم قائلاً:

- أنا لا أثق في أحد؛ فهو الآن يحمل السلطة في يديه!

تميم:

- أما أنا؛ فالسجن هنا أحبُّ إليّ من أن يخذلني شاهين!

الرجل المجنون:

- إذا لا خروج ولنرى مَنْ يُسجن منكما ومَنْ يحصل على الياقوت، إذا حصل أحكما على الياقوت أولاً سوف يُسجن الآخر والعكس.

الآن كلُّ منهما يُحاول الهرب من الدب الهاجم عليه.
الرفاق الذين بدأوا الطريق معًا يتنافسون الآن. دب تميم
يُصبح على مَقْرَبَةٍ منه وها هو سوف يُقَيِّده، تميم يضع
يديه في عين الدب، يزمر الدب غاضبًا ويهجم على تميم
بكل قوته، فيقع تميم أرضًا ويضع الدب السلاسل على
تميم ولكن الدب يختفي فجأة من أمام تميم.
يتنهد تميم من الفرح وينظر حوله فلا يجد عامرًا، يتلفَّت
بنظره إلى السجن فيجد عامرًا قد سُجن.
عامر في غيظٍ:

- سوف أغيب عامًا يا صديقي ولكني سأعود بضعف ما
حصلتم عليه!
تميم في صوتٍ عالٍ:
- هي أقدار يا عامر، أتمنى أن تخرج طيبًا لا تحمل حقدًا
لأحدٍ.

الرجل المجنون يظهر مرة أخرى قائلاً:
- هيا يا تميم، لك عشرُ قِطْعٍ من الياقوت الرمادي.
تميم وهو يضحك فرحًا:
- ألا يمكنني أن أحصل على أكثر من ذلك؟!
- لا يُمكنك ذلك، ولكن عامر له ذلك بعد عام.



يذهب قائد الحرس إلى قصره ويجد زوجته تتحاور مع زعيم الجواسيس، لم يعجبه الأمر وأخذه الشك أنها تُفكر في مكيدة له، ولكنه لم يُبدِ ذلك، وهذا حال الخائن؛ لا يثق في أحد ممن حوله حتى أقرب الناس إليه.

يسأل قائد الحرس:

- فيمَ تتناقشان؟!

زعيم الجواسيس:

- السيدة لا يعجبها ما يحدث في القلعة.

يقرب قائد الحرس منها قائلاً:

- وماذا تقترح السيدة أن نفعل؟!

زوجته:

- لك الكثير من الحرس في القلعة وقرى المدينة ينقاد

لأمرك ووزير الخزانة أمره سهلٌ وحرسك في كل مكان

وسوف يصبحون من الآن في موكب الملكة وابنها الأمير؛

إذا أمر القلعة في يدك وأنت من وطّدت الحكم للملك كما

إنك تستطيع أن تُصبح الملك.

زعيم الجواسيس:

- هذا ما كنا نتشاور فيه سيدي القائد.

قائد الحرس بعد تفكيرٍ وهو ينظر لزوجته:
- هل في كثيرٍ من أهالي سلينيا مثل عقلك أو في النساء
مَنْ يُفكر مثلك؟!

زوجته وهي تبسم:
- أظنه لا يوجد زوجي العزيز.

زعيم الجواسيس:
- إذًا ما رأيك يا قائد في ذلك الأمر؟
- وهل تظن أنني لا أفكر في ذلك؟! اذهب من فوركَ يا
رجل وأخبر رقيب المدينة بأنه هناك اجتماع سري ليلاً
وأخبر أيضًا أعواننا من المجلس بذلك الاجتماع.
في المساء وفي قصر قائد الحرس يجتمع مع الخونة من
الرجال وزوجته من خلف الحائط تستمع إلى ما يقوله قائد
الحرس:

- قد رأيتم ما حدث في الآونة الأخيرة وها هو الملك
يحرمننا السيطرة بأخذ شيء من أموالنا بالغصب، وإن كنّا
نُبدي الرضا إلّا إننا ساخطون والملك لا يهتم لأحدٍ منا
ويُعطي أذنيه للخادمة الراقصة التي أصبحت ملكة!
رقيب المدينة:

- هذا الأمر لا يُعجبنا بالمرة، ولكن ماذا نفعل ووزير
الخِزّانة يتبعهما في كل الأمور؟!

قائد الحرس:

- دع أمر وزير الخزانة لي؛ سوف يأتي في صفنا مع أول تهديد.

في نفس الحين يتحاور وزير الخزانة مع معاونه في قصره، وزير الخزانة:

- أظن أنَّ قائد الحرس لن يعجبه الأمر.

معاون وزير الخزانة:

- أظنه سوف يصنع مكيدة يا سيدي، وربما ينقلب على جلالة الملك! ألم يُدبِّر للملك السابق مثل ذلك الأمر؟!

- إذاً ماذا نفعل أيها الشاب الفطن؟!

- تذهب في الصباح إلى قائد الحرس وتُفهمه أنك فعلت ذلك لأجل استمرار القلعة واجتناب الفوضى.

في قصر قائد الحرس ما زال الحوار جاريًا، يقول زعيم الجواسيس:

- سيدي القائد، لنقتل تلك المُغنية الراقصة في موكبها وبين العامة فتحدثُ الفوضى وبعد ذلك نُسيطر على الأمر، وفي نفس الحين نقتل وزير الخزانة والملك، نقتلهما في قصرهما.

قائد الحرس:

- لن نقتل وزير الخزانة؛ فهو يمتلك الكثير من الحرس،
بل نستميله إلى صفنا مع ضمان استمراره في الخزانة عندما
نملك السلطة ويحوّل أمر القلعة إلينا.
رقيب المدينة:

- ربما يُفشي سرنا إلى الملك وينتهي كل شيء!
قائد الحرس:

- لن يفعل؛ فهو يعلم أننا نملك الكثير من الحرس.
زعيم الجواسيس:

- أقترح بأن نجعل الدماء في موكب الملكة وهي في
سلينيا ويُقتل الملك في نفس الحين بوضع السّم له في
شرابه حتى لا يحدث مثل ما حدث سابقًا من فوضى في
القلعة ثم نحتاج للكثير من الوقت حتى نمسك بزمام الأمور
وربما نفقد كل شيء إذا حدثت فوضى في القلعة.
رقيب المدينة:

- وكيف نضع السّم له في الشراب؟!
زعيم الجواسيس:

- مَنْ يُقدّم له الشراب هو أحد جواسيسي.
يُكمل زعيم الجواسيس حديثه مخاطبًا قائد الحرس
مبتسمًا:

- نلّقاك غدًا جلالة الملك.

يبتسم قائد الحرس قائلاً:

- غداً تُصبح قائداً للحرس يا زعيم.

في صباح اليوم التالي يذهب وزير الخزانة إلى قائد الحرس بعد نصيحة خادمه بتلك الزيارة، ثم يقول لقائد الحرس:

- من الآن أنا مَعَكَ في أي قرارٍ تتخذه.

- من الجيد أنك عرفتَ الطريق الصحيح لأننا البارحة وضعنا خُطَّةً يؤول بها الحُكم إلَيَّ وسوف تُنفَّذ في أقرب وقت.

- ما هي خُطَّتكَ وكم خسائرها؟!

- سوف نقتل الراقصة مليكة وابنها اللقيط بين الأهالي عند توزيعها الأموال عليهم وفي نفس الحين سيُقدَّمُ الشراب المسموم إلى الملك.

- لا دماء في القلعة وإلا يضيع كل شيء ولن نعرف الحاكم من المحكوم!

- الدماء في شوارع سلينيا! لن تكون هنا أيها الوزير! يغادر تميم الغرفة السادسة بعد حصوله على الياقوت ويجد شاهين في انتظاره وحالته سيئة للغاية، يكاد جسده ألا يتوازن وعيناه دامعة، يقول تميم:

- ماذا بك يا شاهين؟! أهو حال الفرحة عندك؟! لقد حصلنا على الياقوت يا صديقي.

لقد خانتني تلك الساقطة! لقد خانتني يا تميم! فقد تزوجتُ بقائد الحرس! ألم تكن زوجتي؟! كيف تفعل ذلك؟!

- ما هذا الذي تقوله وكيف عرفت ذلك؟!
- قد مرّت تلك الأحداث أمام عيني الآن؛ فربما من أفعال الياقوت الرمادي أن يُخبركَ بحالٍ تُفكر فيه وكيف هو الآن!

تميم يقطع حديثه مع شاهين وينسى حالته ليفكر في ماسة ولا يمر أمام عينيهِ إلا حُزن وشوق منها إليه وعتاب طويل؛ عتاب المحب وأين مداه ذلك العتاب؟ وكيف وصفه؟

يقطع تفكيره شاهين غاضبًا:
- سوف أقتلها وأقتله لا شك في ذلك!
- نخرج من هنا أولاً ثم نعرف حقيقة الأمر؛ فربما أجبرها على ذلك!

- لا، لم يفعل؛ فكانت سعيدة بذلك وتُخطط له!
- انسَ ذلك الأمر الآن وهيا نتابع خُطواتنا في الخروج ونرى بعدها ما الذي سوف يحدث، ها نحن حققنا جزءًا

من الحُلم وهو الجزء الأهم فلا تُضيّع كل ذلك! واجعل عُقدك الرمادي مخفيًا؛ فلا نعلم ماذا ينتظرنا.

يسير كلاهما في الدار فيسمعان صوت غناء أمام الغرفة الخامسة، وتخرق عيونهما ما وراءها بتأثير الياقوت الرمادي، يريان صديقهما نوح الذي يسير في البحر بجوار الجميلة التي أحبّها في منظر رائع يُغرّد الطير من أعلى مركبهما، فيقول تميم:

- إلى أين يا نوح وأين تُرسي مركبك؟! ربما طريقه محفوف بالورود وربما تقابله مخاطر البحار! شاهين:

- ربما، ربما، يا ليتني ذهبْتُ مكانه! فلم أكن لأعرف تلك الخيانة!

من أمام غرفة العجوز الحكيم؛ الغرفة الرابعة والتي فُتح بابها بمجرد مرورهم، يسمعان نداء الحكيم مع عواء الذئب، ذلك الذئب الذي أسرع من مكانه حتى يستقبل تميمًا ويشده من يده دون خوف أو رهبة من تميم. يسير شاهين بجواره حتى أصبحا على مقربةٍ من العجوز الحكيم الذي قال:

- ها هو يا تميم صاحبك الجديد؛ فقد اختارك الذئب وسيكون رفيقك من الآن.

شاهين:

- وَلِمَ اختار تميماً؟! فأنا أمتلك مثله من الياقوت
الرمادي!
الحكيم:

- اسأل الذئب ولا تسألني، كما إنَّ هذا الذئب لن يكون
صديقك ولا عدوك يا شاهين إلا إذا عادت تميماً، ولا
تتعجل يا شاهين؛ ففي الغرفة الثالثة سوف يتبعك الكثير
من الذئاب يا شاهين، وسوف يتبع تميماً أيضاً الكثير منهم
إلا إنَّ ذلك الذئب هو سيدهم وأقواهم وقد اختار تميماً.
وزير الخزانة يذهب إلى قصره بدلاً من أن يذهب إلى
مجلس الملك ويُغلق أبوابه جيداً ويملاً القصر بالحرس في
كل مكان ويُخبر الجميع ألا يتحركوا لأي فوضى إلا إذا هجم
أحد عليهم.

مرّت ساعات يملأها الهدوء ثم تخرج الملكة مليكة وابنها
الأمير في موكبٍ مُحمّل بالعطايا والأموال ويحيطه الحرس
أصحاب الولاء للقائد.

مليكة في ريبٍ من أمر حرس القائد الذين أصبحوا يحمون
موكبها ولا تطمئن لحركة الحرس، وبينما هي في وسط
سلينيا وبجوارها طفلها الأمير، في القلعة وفي القصر الجديد
يُقدّمُ الشراب المسموم للملك، يأخذ رشفة منه فيسقط

ميثًا من فوره والدم يسيل من أنفه وفمه، وبينما الملكة تُعطي الأموال والهدايا للفقراء يمسك أحد الحراس طفلها وفي يده السكين:

- أيتها الجميلة، انظري لابنك نظرةً أخيرةً.

ترك ما في يدها وتتنظر مصدومة، فيذبح الحارس ابنها بكل قسوةٍ دون ترددٍ، وتسقط مليكة أرضًا مستسلمة تاركة كلَّ شيء يذهب في لحظةٍ كما جاء، فيهجم عليها حارس آخر ويطعننها حتى الموت.

تملاً الفوضى شوارع سلينيا ويفرُّ بعض الأهالي خوفاً من الضباع والحرس، ويفرُّ آخرون في صمتٍ، خوف وهلع. ينتشر في المدينة خبر مقتل الملك والملكة وذبح الأمير، وتمَّ الأمر دون فوضى في القلعة، وتحكَّم قائد الحرس في زمام الأمور وسيطر على حرس الملك. ماسة:

- ما هذا الذي يحدث؟! ألن تستقر هذه المدينة؟!

خالتها:

- أخفضي صوتك! الحرس في كل مكان!

- ما ذنب الطفل أن يُذبح؟!

- سوف يُصبح الوضع سيئاً للغاية!

- هذا مصير الخائن أن يُغَدَّر به؛ فقد قام ذلك الملك
بالخيانة من قبل وها هو الآن قد قُتِلَ مسمومًا!
- وماذا عن الراقصة التي قتلتها السلطة؟ يا ليتها بَقِيَتْ
جارية تُغني!

هكذا يتحاور حارث وجابر أيضًا عن تلك الحادثة، وما
الذي يُشغل المدينة أكثر من تلك الحادثة؟
حارث:

- يا للمصيبة! لقد رأيتُ الطفل يُذبح!
جابر:

- لا يفعل ذلك إلا خسيس خائن!

زوجة راشد:

- سوف تُصبح زوجة شاهين الملكة!

جابر:

- وأي مُلكٍ ذلك الذي يعلو تاجه الدماء؟!

حارث:

- بالفعل، فهذا الملك قد غَدَّر من قبل وغَدَّر به الآن
ومات مسمومًا!

زوجة جابر:

- ولكن الأهالي حزينون لقتل الملكة.

حارث:

- قد أنستهم بعطاياها جرائم زوجها سابقًا.

جابر:

- لا يتفوه أحد منكم بكلمة خارج الدار؛ فلا نعلم أي
وضع مُقبل علينا!
حارث متفائلًا:
- عُد يا تميم! عُد يا تميم!

تميم:

- إذا ما هي الحكمة الأخيرة؟!

العجوز الحكيم:

- "إذا كنتَ تملكُ كلَّ مقوماتِ السلطةِ لا تجعلها
تخدعك؛ فدائمًا وأبدًا هناك ثغر، لا تستهنُ به ولا تظن
أنك عندما تَسُدُّ ذلك الثغر أنك انتهيت؛ فكل ثغر ينسُدُّ
يُولدُ مكانه ثغرٌ جديدٌ لأنك مع السلطةِ دائمًا تُعاني".
الآن اذهبوا، ولكن أخبرني يا تميم ماذا سوف تُسمي
الذئب، فهذا هو صاحبك الجديد؟

- هو من الآن اسمه برق، الذئب برق؛ فربما يكون له من اسمه نصيب ونرى ذلك في سرعته.
من أمام الغرفة الرابعة يبدأ الذئب برق في العواء فيفتح باب الغرفة الثالثة وتلتف ثمانية ذئاب حول شاهين وسبعة أخرى حول تميم، يبتسم شاهين بعد أن انتابه شعور القوة، كيف لا وثمانية ذئاب أصبحوا أصدقاءه ويفعلون ما يأمرهم به؟

تميم لا يشعر بشيء وكأن شيئاً لم يحدث.
وبينما الذئاب تعوي ويختلف لحنها مع اختلاف أعمارها سمعا صوتاً يغني:

ذئابُ الدارِ التي حُبِسَتْ
آتيةٌ يا ضباع
مرّت قرون دون الأعالي
أعالي الجبال اشتقنا لليالي
نحن جوعى يا ضباع
في سالا كان النزال
بالخيانة هُزِمنا وبالخداع
اعوي يا ذئاب
اعوي في الظلال.

بعدها يعوي الذئب برق وكأنه فرحٌ بذلك الصوت الذي يُغني، ويندهش تميم وشاهين لعدم معرفتهما من أين يقدمُ ذلك الصوت الجميل الذي يُحقّز الذئاب على ما هو قادم.

* * *

ها نحن مرة أخرى مع قائد الحرس الذي يُصبح ملكًا على مدينة سالا ومن ثم يُوليّ زعيم الجواسيس قيادة الحرس، رقيب المدينة ووزير خزانته كما هما في مناصبهما، وأما مَنْ كانت زوجة شاهين في الماضي أصبحت ملكة الآن.

قائد الحرس الجديد الذي كان زعيمًا للجواسيس يقوم بتعيين الخادم الذي وضع السُّمّ في شراب الملك زعيمًا للجواسيس، وهذه هي مكافأة عمله.

زعيم الجواسيس أو الخادم الخائن كما يُسميه الأهالي يبدأ عمله في المدينة، فيزج ببعض شبابها في السجن بسبب ضجرهم من حادثة موكب الملكة والحديث عنها دائمًا. ويتغير حال المدينة بين ليلة وضُحاها من ملك لآخر ومن قائد لآخر ومن جاسوسٍ لآخر.

حارث:

- ماذا بعد أيتها المدينة؟! متى تستقر أحوالكِ وماذا سوف يحدث في قابل الأيام؟!

جابر:

- مهما يحدث علينا أن نصمت، نصمت وحسب، فهل سمعتَ عن الشباب الذين ثرثروا وانتهى بهم المطاف في سجن القلعة؟!

- لقد سمعتُ وأعرف أن ما تنوي قوله لي هو أن أصمت وألا أتحدث خارج الدار.

جابر في غضب:

- لا خارج الدار ولا داخلها وعش كما يعيش الآخرون! في القلعة قائد الحرس سابقًا يجلس على كرسي الحكم ملكًا للمدينة، وبجواره زوجته التي تكاد تُجنّ من فرحة السلطة وإعطاء الأوامر هنا وهناك.

زعيم الجواسيس أو الخادم الخائن:

- جلالة الملك، أريد أن أقترح عليك أمرًا.

- تفضّل أيها الرجل النبيل، اقترح ما تريد.

- سمعتُ أنه في إحدى المدن المجاورة لنا ساحرٌ معروفٌ وقويُّ التأثير.

قائد الحرس في غضب:

- وماذا نفعل بساحرٍ في مجلسنا أيها الخادم؟! آسف! أقصد أيها الزعيم.

زعيم الجواسيس يتجاهل قائد الحرس بعد تذكيره بكلمة
الخادم ويُكمل حديثه مع الملك:

- سوف يُساعد كثيرًا يا جلالة الملك في طرد أعداء
المدينة بسحره ومعرفة الخونة من الأهالي.

وزير الخزانة:

- وهل يتطلَّب ذلك كثيرًا من الأموال؟

زعيم الجواسيس:

- لا يريد أي أموال، يريد أن يسكن القلعة وحسب.

رقيب المدينة:

- ولكن ربما أفعاله تذهب بنا وتُدمر القلعة!

الملك في غضب:

- لا أحد يستطيع أن يُدمِّر القلعة وأنا ملكها أيها الرقيب!

يا زعيم الجواسيس، اذهب من فوركَ وادعُ هذا الساحر
وقل له إنه مُرحَّب به في قلعة سالّا.

زعيم الجواسيس:

- كما تأمر جلالة الملك.

يذهب الخادم الخائن وواضع السُّمِّ في الشراب من فوره
حتى يستدعي الساحر الذي يعرفه، بينما في نفس اللحظة

تتكئ ماسة في غرفتها على الحائط وتسمع سائق العربة وهو
يُغني:

يا ليل كله أنين
حكاوي وذكريات سنين
مرّت في لمح بصر
مرت بشوق وحنين
وأنا بغني في كل الظروف
في أي زمن وأي حين
للحبّ أغنيّ وللذكريات
للهوى أقول ومع النجوم
نجمة تسمع صهيل الحصان
وصوت يظهر ويوصل سلام
يا ليل ويا طير
يا سماء ويا نجوم
يا برق ويا مطر
للحبّ أغنيّ فرح
وللفراق أغنيّ حزين
والفجر آتٍ لا تملّ
والشمس طالعة يا جميل.

تميم ينظر إلى باب الغرفة الثانية قارئاً: "قتلهم الحبُّ بعد
أن قادهم إلى هنا".
شاهين:

- سوف يقتلها حُبي يا تميم! ذلك الحب الذي حوّلته
خيانتها إلى كراهية وبُغض!
- كن هادئاً ولا تتسرّع في أفعالك ولا تجعل اندفاعك
هذا يُضَيِّع رحلتنا الشاقة التي لا نعرف إلى الآن كيف نجونا
منها.

- أنت لا تشعر بما أشعر أنا ولا يملكك الغيظ الذي
يحرق قلبي ويضرب كبدي؛ فلا شيء يعادل خيانة مَنْ تظن
أنه يُحبُّك!

- أقدّر كل ذلك ولكن أرجوك ألا تنفعل ونحن قد اقتربنا
من باب الغرفة الأولى وعلى بُعد خطوات من باب دار
العميان، ولكن هذه المرة للخروج، هذه المرة للحياة، فما
أجمل أن تُحقّق شيئاً من أحلامك كنت تحسبه مستحيلاً!
فما جئتُ إلى مدينة سالّا إلا للياقوت الرمادي، ولكن أقمتُ
ما أقمتُ فيها حتى وجدتُ الحياة من جديد، وكانت ماسة
أبهى من الياقوت في عيني وإن خالفها عقلي؛ فقد وافقتها
الروح والقلب، وسوف أبحثُ عن هؤلاء القوم؛ مَنْ
يُسْمُون أنفسهم بالنارين حتى يُشَفّي غليلي! ولكن هذه

المرّة لن أترك ماسّة وحدها، سوف تكون عوني أكثر من الرمادي.

- ها نحن أمام الغرفة الأولى يا رفيقي، ولكن هذه المرّة لا يهْمُنّا أمرها ولا ما تحوي من تاريخ؛ فقد تحقّق مطلبنا، تحقّقت غايتنا، ولا تنسَ مَنْ راح ضحية تلك الغاية؛ فكيف بنوح الآن؟! وماذا عن سالم الذي قُتِل؟! وعامر؟! فإن كان يُبعدنا عنه عامٌ إلّا إنه سجين الدار!

- تحقّقت الغاية، وفي كلّ غايةٍ فَقْدٌ، وفي كلّ فَقْدٍ حكمةٌ.

* * *

يصل زعيم الجواسيس إلى سلينيا ومعه الساحر الغريب عن المدينة، وبينما حارث في طريقه للمنزل بعد أن أنهى عمله في المناجم وأنهى تجوله في السوق يلاحظ ذلك الساحر وهو ذاهب إلى القلعة.

جابر:

- لقد عدت متأخراً يا حارث!

- كنتُ أتجول في السوق لأشتري بعض الأغراض.

- ولمَ تقف مذهولاً؟! وفيَمَ تُفكّر؟!!

- لقد رأيتُ الخادم الخائن قاتل الملك وبجواره رجلٌ غريبٌ أظنه ساحراً؛ فقد رأيتُ بعض السحرة في مَرسى

السفن؛ فهو يرتدي مثلهم، وهو رجل قصير وسمين يملأ وجهه الشعر الخشن، وكذلك رأسه شعره مُجعد، وعلى كِلَيْي كتفيه أفاع، ويمسك في يده شمعة غريبة الشكل، وبتَلَقْتُ حوله في كل ناحية، كان منظره مخيفًا يرتجف قلب مَنْ يراه من الهلع والخوف.

جابر في حُزن:

- على ماذا نحن مقبلون يا تُرى؟!

- لا تقلقْ يا عم جابر، لا تضيقْ إلا وتتسع، ومَنْ خان يُخان ولو بعد حين، وأشعر بأنّ تميمًا قادم وفي يديه الياقوت الرمادي!

- دعك من تلك الآمال الكاذبة وانتبه لحالك!

- سوف نرى إن كانت آمالًا كاذبة أم صادقة.

يصل الساحر إلى القلعة وبجواره زعيم الجواسيس أو الخادم الخائن كما يلقبه أهالي المدينة وإذا بهم في مجلس الملك فيرتاب بعضهم من حالة الساحر. يقول الساحر:

- مرحبًا بجلالة الملك، مرحبًا أهل المجلس.

الملك:

- من الآن أنت من أهل المجلس وأهل الشورى بيننا، نريد أن نرى منك عملًا يُبهرنا أيها الساحر، ومَنْ يُعادينا أو يطمع في حُكمنا ويُهْدِد الأمن في قلعتنا فهو عدوك.

الساحر ينظر للأفعى التي على كتفه وينظر لزعيم
الجواسيس فيأمر الأفعى في حين غفلة:
- اقتليه يا صغیرتی.

فتلدغ الأفعى زعيم الجواسيس فيسقط ميتًا في التو
واللحظة، يُصدَمُ الجلوس ويرتعبون، يقوم الملك من
مكانه:

- ماذا فعلتَ يا هذا؟!
ويصرخ عليه قائد الحرس أيضًا:
- ماذا فعلتَ أيها الأحمق؟!

الساحر:
- إنه كان يطمع في الحُكم يا جلالة الملك كما إننا لم نعد
بحاجةٍ إليه.
وزير الخزانة:

- هو مَن جاء بك إلى هنا!
الساحر:

- لكي أكون في خدمته حتى يصل إلى الحُكم.
الملك مُبتهجًا:

- أحسنتَ صنعا أيها الساحر! وعلى رقيب المدينة أن
يُدبّر لك ما تُريد من مسكن وطعام وشراب.

- أريد مسكنًا صغيرًا، ولا أريد طعامًا سوى غذاء الأفاعي؛
فهم رفاقي ويتغذون على الطيور.
- لك ذلك، وإياك أن تغيب يومًا عن مجلسنا وسوف
تُصبح من اليوم عوننا.
- كما تأمر يا جلالة الملك.
يذهب وزير الخزانة إلى قصره فيستقبله معاونه ذلك
الشاب الذكي قائلاً:
- أيُّ شرٍّ ذلك الذي نزل بنا يا سيادة الوزير؟!
- لو رأيت لحظة لدغ الأفعى لزعيم الجواسيس لكنت
فقدت بصرك من فُحش المنظر!
- يجب أن تأخذ حذرك سيدي؛ فهذا الساحر لا أمانَ
له!

- بكل تأكيد سوف انتبه؛ فكما تقول، لا أمان له.
يذهب حارث لزيارة ماسة وخالتها. يقول:
- كيف حالكِ يا ماسة؟
- إنني بخير وفي حالةٍ لا بأس بها.
- هل سمعتِ ما حدث لزعيم الجواسيس؟
- قد سمع الجميع وكذلك أنا.
- القاتل يُقتل والخائن يُخان، هكذا علمني تميم.

تبرق عينا ماسة وينتفض قلبها عند سماع اسم تميم
فتقول:

- وأين تميم يا حارث وكيف حاله؟!

- أشعر بقدومه، أقسم لك بذلك!

ماسة تبتسم قائلة:

- طاب لسانك يا حارث، هكذا أشعر أنا وهكذا يحدثني

قلبي.

خالتها:

- ابقيا كما أنتما في الأحلام المزيفة بحكايا الحب!

* * *

شاهين:

- يا آلحظ؛ فهذا آخر ما تبقي لنا من طعام وشراب ونحن

على وشك مغادرة الدار، من الجيد أننا لم نفقده طوال

الرحلة، ولكن ماذا عن عامر؟ وكيف سيقاوم العيش دون

طعام؟! فقد نسينا أن نترك الطعام له! فلم نكن بحاجة

إليه بعد أن اقتربنا من الخروج!

تميم:

- هل نذكر شيئاً مثل هذا بعد ما تعرضنا له من

مخاطر؟! وهل يكفيه هذا الطعام لمدة عام أو حتى شهر؟!

من المؤكد أنّ هناك طعامًا لكن ما هو ذلك الطعام؟! جيد
أم رديء؟! لكنني أعرف عامرًا؛ فهو لن يستسلم وسوف
يقبل بالقادم عليه أيّا كان.

- الآن نحن أمام بوابة دار العميان، ها نحن على بُعد
خطوة من دخول المدينة مرة أخرى ونحن نحمل مجدها
يا صديقي!

- لقد رأيتُ الملك الحالي في مُخيلتي بعد الحصول على
الياقوت؛ إنه قائد الحرس.

- وهكذا أنا، رأيتُ ذلك الخائن مع زوجتي الملكة التي
لن تدوم نفوذها كثيرًا، مجرد وقتٍ على أن تُصبح الملكة
الخائنة التي قتلها زوجها حامل الرمادي بعد عودته!

- هيا ندفع الباب وليفح وجوهنا هواء سالا من جديد
مع ذئاب تعوي لا على الجبال ولكن بين أياديها.

يحاول كلاهما دفع بوابة الدار ولكنها تأبى، فيقول شاهين:
- ماذا يحدث؟! لِمَ هي مغلقة؟! نحن نحمل الياقوت

الرمادي!

تميم في غيظ:

- ادفع بقوة وأنت صامت! ربما تُفتح بعد عدة
محاولات!

تميم يصرخ في الذئاب بأن تصمت وتكفّ عن العواء،
وبعد عدة محاولات من كليهما لا يُفتح باب الدار فيتفاجأ
كلُّ منهما بالرجل المجنون مرة أخرى قائلاً وهو يضحك:
- أو تظنان أنه من السهل أن تغادرا الدار؟!

شاهين:

- ماذا سوف نفقد وبِمَ سوف نُغامر هذه المرة يا
مجنون المدينة؟!

- لن يُفتح باب الدار إلا بعد أن يضع كلاكما واحدةً من
الياقوت الرمادي على الباب، ولن يؤثر ذلك في شيء سوى
أن يُصبح عدد اليواقيت الرمادية لكليكما تسعة بدلاً من
عشرة يواقيت رمادية.

تدخل زوجة الملك إلى الساحر في غرفته وفي قلبها شيءٌ
من الخوف:

- كيف حالك أيها الساحر؟!

- بخير جلالة الملكة، أعرف سبب مجيئك إلينا، لا
تستعجلي وعن قريب سوف تلدين مولودًا وهو أمير،
سوف تضعين ولدًا فلا تخافي من ذلك الأمر، أليس هذا هو
سبب مجيئك إلينا؟
الملكة وهي مذهولة:

- نعم يا رجل! نعم! وهل تواجهني عقبات أثناء الحُكم أم لا؟

- وهل هناك حُكمٌ من غير عقبات؟! ولكن سوف نمحو كل ما سوف يواجهك ونقضي على كل مَنْ يُعاديكَ.
- أحسنت أيها الساحر العظيم! وأريد أيضًا أن يُصبح قلب الملك لي وحسب ولا تُخبر أحدًا عن مجيئي هنا.
- أعطيني خصلة من شعرك.

يُعطيها الساحر سكينًا فتأخذ من شعرها خصلة وتضعها في يد الساحر، وفي منظر مُقرف يُطعم الساحر خصلة شعرها إلى الأفعى فترتاب الملكة مما حدث.

فيقول الساحر:

- لا تخشي شيئًا بعد الآن يا جلالة الملكة؛ فأصبحت كلُّ أمورِك في يدنا وأصبح قلب الملك لكِ إلى الأبد.
تُغادر الملكة أو زوجة شاهين الخائنة كما يُسميها الأهالي من غرفة الساحر وهي في قمة سعادتها بعد الحديث معه وضمانه لها بأنه في صفها.

تمر الأيام والساحر شيء أساسي في مجلس الملك ويُخبره من حين إلى حين باسم أحدٍ من الأهالي على أنه خائن،

فيسجن الملك الكثير من الأهالي بتهمة الخيانة، ويضجر أهالي المدينة من ذلك وكذلك من الضرائب التي ارتفعت، وأجورهم التي قلّت، بالإضافة إلى مضايقات الحرس لهم. أصبحت المدينة وكأنّ حاكمها هذا الساحر؛ فلم يعد الملك صاحب الأمر، ولم يعد هنالك زعيم للجواسيس، وحتى قائد الحرس قلّ نفوذه.

تختنق سالا شيئاً فشيئاً، ولمّا طفح الكيل ها هم بعض من أهلها يسرقون آخرين.

ما أشدّ بؤس مكان يسرق الفقير من فقير مثله! ويبدأ الخراب في كل أنحاء سلينيا!

وفي إحدى الليالي الشاقة، يُخطّط بعض من شباب المدينة لحرب ضد الملك، وفي أثناء تخطيط الشباب، زوجة الملك في غرفة الساحر مرة أخرى تخاطبه في قهر: - لم أحمل أميراً بعد! لقد فشلت في ذلك أيها الساحر! إن لم تساعدنا في هذا الأمر فسوف تجد وجهًا آخر غير الذي تألفه!

- لا عليكِ سيدتي، لم يبق إلا طريقة واحدة وسوف تنجح بكل تأكيد ولكن أظنها لن تعجبكِ.
- هيا قل ما هي تلك الطريقة؟!

- أن تأتي بطفلٍ صغيرٍ فيتم ذبحه أمامك وتضعي شيئاً
من دمه على رأسك ووجهك.

الملكة في غضب:

- ماذا تقول أيها الأحمق؟!

- لا يوجد حل آخر.

الملكة وهي تتنهد وتُفكر:

- سوف أغيب عنك ساعة وأعود بالطفل!

تخرج الملكة من فورها وتأمُر أحد الحراس المقرين إليها
بأن يجلب لها طفلاً في غرفة الساحر بعد ساعة دون أن
يشعر أحدٌ بفعله.

لم يُكذب خبر ذلك الحارس؛ فها هو يختطف أحد أطفال
المدينة من بين أهله متوجّهاً به نحو غرفة الساحر، وقتها
أهالي المدينة وعلى رأسهم الشباب يخططون للحرب ضد
القلعة ويحضرون ما استطاعوا من أسلحة حاملين شعار
"الموتُ قتلاً أهون من الموت جوعاً".

ومن بين هؤلاء الشباب حارث الشاب الصغير يثور معهم
ضد قمع القلعة وظلمها المشهود.

بينما الساحر مع زوجة الملك وطفل يُغْطِي وجهه ملامح
البراءة بجمال عينيه الملونة يمسك به حارس على وجهه
ملامح الشر كلهم في غرفة واحدة، يرتعد قلب الملكة خوفاً

وتلمع عينا الساحر شرًا، وسكين الحارس لها أن تبكي إن كان
ضحيتها طفلًا بريئًا!

ثوار المدينة يسرون إلى القلعة ومعهم ما استطاعوا أن
يجمعوه من أسلحة، وتملأ الضجة حواري سالا وكل
أرجائها.

الساحر يُردّد تعاويذه والحارس يُجهّز سكينه والملكة
تُغمض عينيها، يعلو صوت الساحر فتزيد شرارة الحارس في
انتظار أمر الذبح، تزيد حرارة الغرفة، الأمر على وشك
الاقتراب والطفل على حافة الذبح.

الثوار يقتربون من القلعة، يُشير الساحر إلى الحارس لبدأ
مهمته البشعة، الثوار على بوابة القلعة، يبدأ الاشتباك بين
الثوار والحرس، السكين على رقبة الطفل، تصرخ الملكة:
ما هذا الصوت؟! ما هذا الصوت؟! يفلت الحارس سكينه
والساحر يضطرب، يتوقف الثوار والحرس من الاشتباك
ببعضهم.

الجميع يلتفت إلى الصوت الآتي من خارج المدينة، يصرخ
أحدهم: إنها طبول الحرب! أيُّ خطرٍ يُحيط بالمدينة؟!
حالة من الرعب في كل أنحاء المدينة، الجميع ينتبه إلى
دقات طبول الحرب.

وبينما الجميع في حالة ذهول إذا بأحد الفوارس يمتطي
جواده وفي يده شعلة نار وفي اليد الأخرى ورقة سائلاً بعلو
صوته:

- أيُّ ملكٍ يحكم تلك المدينة؟

يأخذه الحرس إلى القلعة والتي أمامها الثوار، الآن يحيط
الثوار بحامل رسالة الحرب، ينزعون الورقة من يديه، يقرأ
أحدهم رسالة الحرب بعلو صوته:

"إلى تلك المدينة وحاكمها، نحن جيش الناريين، ربما
سمعتم عنا، ولكن مَنْ يسمع ليس كمَنْ يرى، اغربوا عن
تلك المدينة سالمين وإلا حُرِّقَتْ بكم".

يثور أهل المدينة على حامل الرسالة فيقتلوه من فوره،
ينتشر الخبر بأنّ المدينة على وشك الحرب، يهرب الطفل
الذي لم يُذبح من غرفة الساحر حين غفلتهم مع تلك
الأجواء.

الملك يستدعي الساحر إلى أن يُخلّصهم من تلك
المصيبة.
الساحر:

- هذا الجيش لا قِبَلَ لنا به والهزيمة هي الحال إذا غامرنا
في أن نجابههم، ترون جميعًا الخطر القادم مع جيش

الناريين ولكني أرى خطرًا قادمًا من الخلف! خطرًا أشد لم
يتبين لي بعد!

* * *

شاهين:

- هيا يا تميم، لنفعلها حتى نخرج من هنا.
يسحب كلاهما ياقوتة من العُقد ويضعانها على باب
الدار؛ فإذا بذلك الباب المغلق يفتح مصراعيه.
تميم ورفيقه يتنفسان هواء سالا من جديد تحت سمائها
المبهجة ومن خلفهما الذئاب الرمادية وكأنهما يدخلانها
لأول مرة، وكأنَّ نجوم السماء تحتفل بهما.

وبينما سالا في حالة دهشة مما يحدث ومن أخبار الأعداء
على أبوابها، ماسة تسمع عن جيش الناريين وتتذكر
قصصهم مع تميم ولا تهتم بما يحدث في سالا، وإذا بقلبيها
يخفق مرة واحدة وكأنه يشعر بأنَّ تميمًا في المدينة وأنَّ
مغامرته قد انتهت وقد عاد وفي يديه الرمادي، ودائمًا هناك
خاطر يهمس للقلب باقتراب الحبيب، لا يكذب ذلك
الخاطر؛ فلو كان كذبًا يأخذ القلب في غيبوبة الانتظار.

لا صوت في المدينة يعلو على عواء الذئاب، الجميع
يستمع إلى عواء الذئاب، والجميع أيضًا يستمع إلى طبول
الحرب.

الساحر:

- الخطر القادم من الخلف على وشك الوصول! يجب
أن نغادر المدينة! هذا الخطر هو تميم الذي يحمل
الياقوت الرمادي!
ينتفض الملك وأعوانه عند سماع ذلك، وتلطم زوجته
على وجهها صارخة:
- من المؤكد أنّ شاهين معه!

الساحر:

- نعم هو معه.
الملك في غضب:
- أتخافين من شاهين وأنّ في حُكمي؟!
فيُشير الملك إلى أحد الحراس:
- اقتلها يا هذا حتى تريحها من ذلك الخوف!
فلم يُكذب الحارس خبرًا فذبحها من فوره، وهو نفس
الحارس الذي كان سيدبح الطفل وبنفس السكين!

لم يندهش أحد؛ فالدهشة لا تكون عند موت خائن؛ فهذا
مصيره حتمًا ولا مفرّ.

قائد الحرس:

- ماذا نفعل الآن ومن أمامنا خطر ومن ورائنا خطر؟!

الساحر:

- يجب أن ننضم لجيش الناريين وسوف يرحبون بنا؛
فنحن نعرف خبايا المدينة.

الملك:

- أنوِّظن لهم حُكم المدينة؟!

الساحر:

- نتفق معهم بأننا عندما ننتصر على تميم حامل
الرمادي لنا نصف المدينة ولهم النصف الآخر، ليس
هنالك حل أفضل من ذلك وإلا قُتلنا هنا!

قائد الحرس:

- أتفق مع الساحر يا جلالة الملك، هذا هو الحل
الأنسب وسوف نهوّل لجيش الناريين عن عدم قدرتهم
على مواجهة الياقوت الرمادي.

الملك:

- إذًا عليك أن تُخبر الحراس بذلك في أسرع وقت حتى
نخرج إلى جيش الناريين ونتحد معهم.
وزير الخزانة:

- أنا لا أوافق على هذه الخيانة ولن أدع حرس الخزانة
يخونون المدينة!
الملك:

- أنت تحكم على نفسك بالموت قبل الحرب أيها
الوزير!
الساحر:

- دعه وشأنه وإلا نخوض نزالًا يجعل تميمًا يلحق بنا!
يغادر الملك وجيشه من أبواب القلعة ومعهم الضباع في
سلاسلها، يمرون من أمام الثوار، يعترض لهم بعض الثوار
فينادي فيهم وزير الخزانة: دعوهم الآن ولا تموتوا كذبًا!
تميم على وشك الوصول ومعه الياقوت الرمادي، دعوهم
ينضمون إلى جيش الناريين، دعوهم يخونون المدينة!
سوف تقتلهم خيانتهم تلك! يتعجب الأهالي من ذكر تميم
والياقوت فيؤكّد لهم وزير الخزانة ذلك فيصرخ حارث
فرحًا: تميم! تميم! ويطير إلى ماسة لكي يُخبرها.

يُحترم الأهلالي وزير الخزانة لعدم انضمامه إلى هؤلاء
الخونة، ويسير الوزير مع حرسه وسط الأهالي ويوضح لهم
مدى الخطر المُقبل.

حارث من أمام دار ماسة بأعلى صوته وهو يبكي:
- يا ماسة، قد عاد الحبيب! قد عاد تميم! يا ماسة،
كفاكِ نحيبًا! يا ماسة، يا ماسة، هل تسمعينني؟! تميم في
المدينة! تميم يحمل الياقوت الرمادي في يديه ويحمل
حُبكِ في قلبه!

ماسة لا تعرف هل هذا حُلْمٌ أم حقيقة، تضع يديها على
وجه حارث حتى تتأكد من أنه أمامها فعلاً ويُخبرها بذلك.
ثم تقول خالتها:

- كيف عرفتَ ذلك يا حارث؟!
- الساحر أخبر الملك بذلك وبعدها هربوا من المدينة
حتى ينضموا إلى جيش الناريين.

ماسة واجمةٌ ولقلبها وجيفٌ، ساكنة كلها عدا الدموع التي
تنهمر، يأخذها حارث من يديها قائلاً:
- هيا يا ماسة، هيا نستقبل تميمًا.
يتحرك كلاهما حتى يستقبلا تميمًا.

* * *

شاهين:

- لقد قُتِلَتِ الخائنة يا تميم! قتلها مَنْ أعطته الأمان!
إنني أرى ذلك الآن! كنتُ أريد أن أذبحها بكلِّي يَدَيَّ!

- لقد أتوا يا شاهين، جاء الناريون إلى أبواب المدينة
والملك الخائن في طريقه إليهم! يا شاهين وإن كنا نحمل
الياقوت الرمادي فلا تغتر! هذه مواجهة صعبة؛ فهؤلاء
الناريون أعدادهم تفوق أعدادنا عشرات المرات! أنا
أعرفهم جيدًا؛ فهيما نُسرِع حتى نتحكم في زمام الأمور ونرى
ماذا نحن فاعلون وكيف نجابههم!

- هذه حرب يا تميم لن تثار فيها لمدينتك القديمة ولن
أثار فيها من الملك وحسب، ولكننا سوف ندافع عن سالا.
- هو كذلك، وهؤلاء الناريون دمروا كل المدن حتى
وصلوا إلى هنا؛ فيجب أن نوقفهم دفاعًا عن مدينة سالا
وما بعدها من مدن وأناس أبرياء!

- سوف نفعل كل ما بوسعنا حتى يُهزَم الشر، قد اقتربنا
من الوصول إلى سلينيا.

- لِمَ الذئاب تُبرق عينيها؟! ماذا ترى؟!

يقود الملكُ الخائنُ الحرسَ الخائنين وبجواره الساحر
وقائد الحرس ورقيب المدينة، يقف أحد الحراس على

جواده وفي يده راية التسليم، يلوح بها عاليًا فيراها جيش الناريين، فيذهب أحد الجنود مخاطبًا قائد جيش الناريين بأن المدينة استسلمت.

في خارج المدينة وعلى حدودها يقف الملك الخائن في وجه ملك الناريين، وكلُّ منهما يقف جيشه خلفه، ولكن جيش الناريين لا يرى نهايته؛ فأعدادهم مهولة. يقول ملك الناريين:

- كيف استسلمت لنا وتأتي بجيشك؟! هل هذا استسلام أم إعلان حرب أم هي خُدعة؟!

- هناك خطر في المدينة الآن أشد من خطرکم.

حكى ملك سالا الخائن لملك الناريين حكاية الياقوت الرمادي وأنه في يد تميم الآن.

الساحر مخاطبًا ملك الناريين:

- أيها الرجل العظيم، ملك جيش الناريين، في معاونة ملك سالا لكم الكثير من الخير؛ فهؤلاء الحرس هم أدرى بخبايا المدينة، وعرفتُ كم هي خطورة الياقوت الرمادي الذي حمله تميم وأراد أن يحصل عليه لأجل الحرب عليكم؛ فهو من مدينة المرسا ولم ينس ما فعلتموه ضد مدينته.

ملك الناريين:

- وماذا إن انتهت تلك الحرب وانتصرنا؟! فنحن لا نقبل
بأي غريب في صفوف جيشنا!
قائد الحرس:

- مدينة ساللا كبيرة وتتسع للجميع، لكم نصف المدينة
ولنا النصف الآخر مع تقسيم ياقوت المناجم فيما بيننا.
ملك الناريين:

- سوف أتشاور بذلك مع قادة الجيش ثم أقول لكم ما
القرار الذي سنتخذه.
بعد الشورى بين ملك الناريين وقادة جيشه يعود بقراره
قائلاً:

- نوافق أن تنضموا إلى جيشنا ولكن بالشروط الآتية؛ أن
نحصل على نصف المدينة الذي فيه دار العميان، نحن
أصحاب القرارات في الحرب ضد تميم، يُقسَّم جيشكم إلى
ثلاث فرق؛ فرقة في المقدمة، وفرقة في المنتصف، وفرقة
خلف الجيش هذا، وإلا تعودون من حيث جئتم.
يتناقش ملك ساللا وأعوانه في تلك الشروط. يقول قائد
الحرس في غضب:

- عودتنا أفضل من أن نوافق على تلك الشروط!
رقيب المدينة:

- الموت أفضل من الموافقة!

الساحر:

- لا قرار سوى الموافقة وإلا نُقتل في المنتصف بين
الجيشين!
ملك سالاً:

- سوف نوافق ولكن ضَع على كل فرقة من الفرق
الثلاث رجلاً ذكياً يفهم مكائد الحروب حتى إذا وجدنا نية
للغدر نرى ماذا نحن فاعلون.
وبعد النقاش فيما بينهم يرد ملك سالاً بالموافقة على تلك
الشروط.
شاهين:

- هذا ما تراه الذئب؛ تلك الفتاة التي تجري هناك ومعها
شاب.

تميم في لهفة:

- إنها ماسة يا شاهين ومعها حارث! ماذا يا قلبي؟! لِمَ
تنبض بتلك السرعة؟! أنا لا أتمالك نفسي يا شاهين! إنها
ماسة! إنها الروح والقلب!

- تماسك يا رجل، أنتَ تحمل الياقوت الرمادي.
- وماذا يكون الرمادي أو غيره بجوار ماسة؟! هي أزهى
من الياقوت! يا قلبي على مهلك!

يجري تميم ناحية ماسة ومن ورائه شاهين، تراه ماسة،
يصرخ حارث: ها هو تميم قد عاد ومعه الذئب! ماسة لا
تتكلم، تظل واجمة وهي تجري على مهل، الذئب تعوي،
يقول تميم:

- أيها الذئب برق، رَحِّبْ بماسة أنتَ وقطيعك.
الزمن يتوقف، تميم على بُعد خُطوات من ماسة، حارث
يجري ناحية تميم، ماسة تقف مكانها، ت برق عينيها في
تميم، حارث يُعانق تميماً باكياً، حارث يُرَحِّبُ بشاهين
وينظر للذئب في خوفٍ، تميم وجهًا لوجهٍ، قلبًا لقلبٍ،
روحًا لروح أمام ماسة، كلاهما ينظر وحسب، تُذرف دموع
ماسة وهكذا تميم، أيُّ كلمات تنطق بها ألسنتهما؟! مَنْ
يتحدث أولاً؟! مَنْ يقطع هذا الصمت؟!

يتقدم تميم، يمسك بيد ماسة وهو ينظر إليها قائلاً:
- وكأني وُلِدْتُ الآن! هل هذا أول لقاء لي مع الحياة؟!
ماذا يا ماسة؟! لا شيء يرافقك في قلبي! أنتِ تستحقين كل
هذا الحب يا ماسة!

ماسة وهي تبكي:

- لا تتركني مرة أخرى وإلا قتلتك يا تميم!
- لا أقدر أن أتركك مرة أخرى يا ماسة!

حارث:

- ما تلك الذئاب يا تميم؟!

- إنهم رفاقنا، لا تخف يا حارث؛ فهذا الذئب برق، ضع يدك عليه ولا تخف؛ سوف يُصبح صديقك هو وبقية الذئاب. يا برق، هذا حارث، رَحِّبْ به. وتلك ماسة يا برق، انظر إليها في رفق أيها الذئب برق واتخذها صديقةً لك من اليوم؛ فهي أنا وأنا هي.
شاهين:

- علينا أن نتوجه إلى المدينة ونرى ماذا نفعل في تلك الحرب التي أعلنها جيش الناريين علينا.

حارث:

- كيف عرفتُم ذلك؟! فنحن أول من رآكم من المدينة!
شاهين:

- نحن نملك الياقوت الرمادي يا حارث.

- إذا لم تخافا تلك الحرب!

تميم:

- أنت لا تعرف أعداد جيش الناريين ولا طرقهم في الحرب؛ أعدادهم تفوقنا بأضعاف غير أن كثيراً من حرس المدينة الخونة قد انضموا إليهم، فلا تستهن بتلك الحرب يا حارث.

ماسة:

- يجب أن تُوحَّد المدينة قبل كل شيء وتُخاطب أهلها
وتُخبرهم بذلك.

الذئاب تسير في شوارع سلينيا، الجميع يُنادي: الرمادي في
المدينة! الرمادي في المدينة!

تميم يمسك بيد ماسة وبجواره حارث وشاهين، والذئاب
من خلفه وأمامه.

يندهش الأقربون من عودة تميم مع مشاعر الفرحه،
هناك ريبٌ لدى البعض من هذا الغريب الذي يحمل
الياقوت الرمادي، المدينة تزدهم بالناس من سلينيا حتى
القلعة. تميم مخاطبًا الجميع:

- يا أهالي سالا، أنا أحمل الرمادي، قد جئتُ المدينة لكي
أجده ومن بعدها أُحارب هؤلاء الناريين، فها هم على حدود
المدينة وأصبح هدفي هو هدفكم، ما كنتُ أطمع في حُكم
المدينة ولا نهب خيراتها، سوف نُحارب معًا، سوف أُحارب
الناريين حتى أدافع عن سالا قبل أن أنتقم للماضي، أنا
منكم، لا تظنوا بأني غريب؛ فقد أحبَّ قلبي هذه المدينة
واطمانًا لأهلها وإلا ما كان يصحبني ابن المدينة شاهين ولا
حتى سالم الذي قُتل في سبيل حريتكم، قد علمتُ بوفاء
وزير الخزانة فأنا أشكره أمام الجميع بالنيابة عنكم، وسوف

نضع معًا الخطط الأفضل لتلك الحرب، لا تظنوا بأنّ
الياقوت الرمادي كافٍ لتلك الحرب، بالعزيمة نواجهه،
بالإصرار ننتصر، بالحب نتكاتف.
كم كانت فخورة ماسة بحبيبها السياسي المُفوّه، الرجل
المحارب، الصادق في أمنيّاته!
وزير الخزانة:

- لا تظن أنك غريب يا تميم، من اليوم أنت القائد هنا،
لأنك تحمل الياقوت الرمادي، بل لأننا نشعر بصدق
قولك واستعدادك للتضحية من أجلنا، ونستعد من الآن
لتلك الحرب؛ فكل من يستطيع امتطاء الجواد أو حمل
البارود هو معنا في جيش المدينة ولنحارب معًا.

في تلك الأجواء الممتلئة بالحب والتعاون يُغني سائق
العربة بعد أن انضمّ إلى جيش المدينة:
نحن معًا ويا مرحبًا
بأي حرب تكون
سلاحنا في الحب يكون
نتكاتف حتى نحارب
نتعاون بالحب يملأ الكون
لا نخاف كل الجيوش

لأننا لأجل سالا نموت
في مدينة الياقوت
في مدينة البحور
رجال بواسل لا تخون
لا تخاف أن تصول
احمل بارودك هيا صوّبه
في رأس الخائن الظلوم
ياقوت ياقوت رمادي يكون
النصر لنا أو بالدفاع نموت
يا حرب نحن قادرون
ولأجل الحب الروح تهون.

وفي خيمة مغلقة يجلس ملك النارين مع ملك سالا
والساحر وقادة من الجيشين يتشاورون في أمر الحرب.
يبدأ الساحر قائلاً:

- يجب تقسيم الجنود إلى جيشين؛ الأول يغزو المدينة
من الخلف عن طريق المناجم حتى يصلوا إلى القلعة من
خلال الطريق المغلق ما بين القلعة والمناجم، والآخر
يدخل المدينة من تلك الطريق التي تؤدي إلى القلعة
وسلينيا.
ملك النارين:

- وكيف نصل إلى آخر المدينة وإلى المناجم من الخلف
دون أن نمر بأول المدينة؟!
قائد الحرس:

- سوف نفعل ذلك عن طريق البحر وأنتم تملكون
الكثير من السفن، يا سيادة ملك الناريين، يجب أن يقود
ملك سالا هذا الجيش الغازي عن طريق المناجم لأننا على
دراية بتلك الطريق وعلى دراية كيف تؤدي إلى القلعة.
ملك الناريين:

- وكيف تسير السفن في البحر دون أن يشعروا بها؟!
الساحر:

- حتى وإن امتلكننا طريقة نسير بها في البحر دون أن
يشعروا فسوف يعرف تميم حُطتنا عن طريق الياقوت
الرمادي، ولكننا بتلك الخُطة وتقسيم الحرب إلى مكانين
سوف يتم تقسيمهم وتقلُّ قوتهم، ومَن ينتصر من
الجيشين أولاً سوف يساعد الآخر وحينها يكونون في
المنتصف بيننا وبذلك نحاصرهم من الجانبين ومنتصر
عليهم.

ملك الناريين:

- أوافق على تلك الخُطة على أن يتوزَّع جنودكم بين
الجيش الذي أقوده أنا والجيش الذي يقوده ملك سالا.

ملك سالاً:

- بالتأكيد سوف يحدث ذلك؛ فنحن نعلم مدى شراسة جنودكم وسيكون من السهل اقتحام المناجم ودخول القلعة بهم.

يجلس تميم في القلعة وفي مجلس الحُكم مع وزير الخزانة وكبار قادة الجيش ومعه شاهين ولا أحد يجلس على كرسي الملك.

يقول تميم:

- عرفنا أنا وشاهين عن طريق الياقوت الرمادي بأنه سوف يتم تقسيم جيش النارين إلى جيشين؛ الأول يدخل من المدينة وهؤلاء سوف يخرج إليهم نصف جنودنا حتى تكون الحرب خارج المدينة وأولها وسوف أقودهم أنا تميم ابن مدينة المرسا في مواجهة ملك النارين، أما النصف الآخر سوف يأتون بالسفن في البحر حتى يغزوا المناجم من الخلف ويذهبوا في الطريق المغلق إلى القلعة؛ فهل من أحد لديه اقتراح كيف نواجه هؤلاء وقائدهم الملك الخائن وهو على خبرة بالجيوش والحرب، كما إنهم سوف يعبرون من أمام البحر من أمام سلينيا وفيها الأهالي؟

يستأذن معاون وزير الخزانة في أن يُبدي رأيه، فيأذن له تميم بأن يتحدث. يقول معاون وزير الخزانة:

- نُقَسِّمُ الجيش الذي يحارب هؤلاء إلى مجموعتين؛
مجموعة تتمركز في وسط المدينة وتتفرق على طول خط
البحر لتبدأ في تشتيتهم بالضرب على حين غفلة، أما
المجموعة الأخرى تبقى ثابتة في الطريق ما بين المناجم
والقلعة حتى تواجه مَنْ يصل منهم إلى المناجم..

يقاطعه حارث:

- لديّ رأي آخر لمواجهتهم؛ وهو ألا نجعلهم يصلون
إلى الطريق ما بين المناجم والقلعة، نجعلها حرب عشوائية
فتبقى مجموعة كما قال معاون الوزير في منتصف المدينة
من أمام البحر، وأما المجموعة الثانية تواجههم في
المناجم، والمجموعة الأخيرة تواجه مَنْ يصل منهم إلى
الطريق المغلق المؤدي إلى القلعة، وفي تلك الحالة لن
يصلوا إلى القلعة إلا إذا انتصروا على الثلاث مجموعات.
ينبهر الجميع من ذكاء حارث وجرأته في أن يُبدي رأيه دون
رهبة.

وزير الخزانة:

- إن قُسِّمَ الجيش إلى ثلاث مجموعات أو حتى إلى
مجموعتين فسوف تضعف أعدادنا وهم أكثر منّا عددًا
دون أن ننقسم، فما بالكم لو تفرّقنا؟!

تميم:

- ما دمنا اختلفنا في الآراء فسوف ننقذ رأي الأغلبية.
يفوز رأي حارث بالأغلبية بأن يتم تقسيم الجنود إلى ثلاث
مجموعات بخلاف الجنود التي يقودها تميم لمواجهة
ملك الناريين.

يقود تميم الجيش لمواجهة ملك الناريين وهو يركب
فرسه الذي أسماه (ليل)، وهو من الخيل ذات الجمال
والسرعة والقوة، وبسبب صهيله الحزين تحت سماء الليل
أسماه الفرس ليل.

ومن بين جيش تميم، جابر وكثير من رجال المدينة الذين
يعملون في مختلف المهن سواء مناجم الياقوت أو السوق
أو غيرها من المهن.

يبدأ إيقاع الحرب في خارج المدينة وأولها من ناحية
القلعة، يقود شاهين المجموعة التي تستعد في الطريق
المغلق، ويقود وزير الخزانة المجموعة التي تستعد في
المناجم، ويقود معاون وزير الخزانة المجموعة التي تستعد
على بحر المدينة وحارث في تلك المجموعة يقف بباروده
بالرغم من صغر عُمره.

المدينة تدقُّ فيها طبول الحرب وتعوي ذئاب شاهين
ويعلوها صوتُ ذئاب تميم عند أسوار المدينة ويعلو كليهما

عوي ذئاب الجبل، ويا للضباع الخائنة التي تحارب موطنها! ويا للضباع الخسيصة التي تصرخ على مسقط رأسها! هي ليست مجرد حرب؛ هي عودة الذئاب لتنتقم لأصلها؛ فإما أن تُطرد الضباع أو تبقى؛ فلا تتسع المدينة منذ القدم أن يبقى فيها الذئاب والضباع معًا؛ فعادتهم من عادة أجدادهم؛ فلا سلامَ بينهم، أطلقوا على تلك الحرب اسم (العودة)؛ فهي عودة تميم من الدار ناجيًا، وعودة الذئاب إلى المدينة، وعودة تعاون أهل المدينة، وعودة الانتقام سواءً بين الذئاب والضباع، أو تميم والنارين، أو الأهالي والملك الخائن ومن معه من الخائنين؛ إذاً أهل التاريخ يعنون الحرب باسم "حرب العودة".

بينما الشمس ترتفع في ضُحاهها، عند أسوار المدينة ومن أمامها يلتقي الجيشان، الذئاب تعوي والضباع تصرخ، بينما الطبول تدق (إنها الحرب)، تميم يقود ثمانية آلاف رجلٍ من الجنود ورجال المدينة، ويمتطي جواده (ليل) ومن حوله الذئاب تعوي ويقودهم الذئب برق، وفي مواجهته جيش النارين يقودهم ملك النارين وهم قرابة الثلاثين ألف، ثمانية آلاف في مواجهة ثلاثين ألف! يفوق جيش النارين جيش تميم في العدد بأكثر من ثلاثة أضعاف.

يقف الجيشان وجهًا لوجه، وفي جيش الناريين ضباعُ المدينة الخائنة قد انضمت إليهم. يُنادي تميم في جيشه حتى يحقِّزهم بعد أن وجد الرهبة في عددٍ منهم بسبب عدد جيش الناريين ومدى تنظيمهم وكذلك تبدو عليهم شراسة الحروب وخبرتهم بها.

تميم يُحقِّزُ جيشه بصوتٍ عالٍ وهو يقول:
- لا شرفَ يعلو النصر، ولا شرفَ يعلو الدفاع عن أرضك،
عن نفسك، عن أهلِكَ، هي الحرب، إما النصر أو الموت،
إمّا أن تبقى المدينة لنا أو نموت دونها، إما الموت أو النصر،
أما الهزيمة فليست بخيار لنا، إما الموت أو النصر.
وأخذ يعلو صوته بها والذئاب تعوي حتى تُرهب الناريين
ومَن معهم من خائني المدينة.

وأما عن نساء المدينة وأطفالها والمُسَنِّين منهم فقد مكثوا في منتصف المدينة وحتى آخرها من ناحية القلعة، وكذلك هم في منتصف الحرب ما بين هؤلاء وهؤلاء، وفي أهالي المدينة ماسة وقد أبقى تميم في رفقتها ذئبًا رماديّ اللون حادّ النظر، وذلك الذئب لا يَأتمر إلا بأمر ماسة؛ فهو في رفقتها على الدوام، وماسة تستأنس به في تلك الحرب.

ذئاب تميم تعوي ويزداد غيظها حينما تسمع صراخ الضباع، ومَن يلمح الذئاب من جيش الناريين يرتعب، ومَن يسمع عواءها يُرْعَب أكثر، هذا والنازيون يحملون أسلحتهم، ومنها ذلك السلاح الذي يقذف النيران ويبعثرها في كل مكان، غير البارود الذي يطلق الطلق الناري، جيش الناريين أعدادهم ضعف أعداد جيش تميم وأسلحتهم تفوق أسلحة جيش تميم.

الحرب تبدأ والسلاح الفتاك يقذف النيران على جيش تميم، فلا يقدرّون على المقاومة، ويرتّبك الجيش، والذئاب لا تتحكم في نفسها من النيران، ولا تعرف عدوها من صديقها فتروح وتجيء. يصرخ تميم في الجيش ليُطلقوا بارودهم وتُصبح الحرب عشوائية، السلاح الفتاك يرمي في النيران، عدد من رجال المدينة يحترق ويصرخ من الألم حتى الموت.

تميم وهو غاضب يستخدم الياقوت الرمادي فيوقف السلاح الفتاك لتُصبح الحرب بالبنادق. الذئاب تهدأ بعد توقف النيران، تميم يأمرها بأن تهجم على الضباع.

الآن الحرب ما بين ذئاب تميم وضباع المدينة، تنفجر الذئاب على الضباع وتقتل فيها، على الرغم من أنّ عدد الضباع يفوق عدد الذئاب بكثير إلاّ إنّ الضباع لا تستطيع

مقاومة غضب الذئاب فتقتلها الذئاب وتقتل من الناريين
وينتظم جيش تميم ويضرب بالبارود.

أما الجيش الذي يقوده ملك سالا يسير في البحر قاصداً
القلعة؛ فقد خرجت عليه المجموعة التي يقودها مساعد
وزير الخزانة ومعه حارث الشاب الصغير، يختلط البحر
بدماء القتلى من الخائنين والناريين ويتذبذب الجيش الذي
يقوده ملك سالا ويستفز ذلك التذبذب الناريين فيضربوا
في المدينة بالسلاح الناري السلاح الفتاك فتحدث الفوضى
بين الأهالي مع سقوط النيران عليهم ويصاب الكثير منهم،
يعرف تميم بذلك ويراه في مخيلته وهو يحارب جيش
الناريين ولا يستطيع الاتزان فيوقف بالياقوت الرماذي بعد
عدة محاولات ما يضرب على الأهالي بالسلاح الفتاك،
وتأتي ماسة في مخيلته وهي مُصابة فيُشوّش، يقلق على
ماسة فيفقد سيطرته على الياقوت الرماذي.

ضُرب عدد كبير من مجموعة حارث، وأُصيب حارث
بالبارود إصابة جعلته يفارق الحياة، حارث يموت، يغادر
وهو يدافع عن مدينته، يُدافع عن أحلامه، عن ذكريات
طفولته، عن حياته التي لم تكتمل، الشاب اليافع يغادر
دون أن يودّع، دون أن يلوح بكفه، دون أن يُخبر بأنه

سيفارق، ولا يُرى على وجهه إلا ابتسامة من حولها لحن
حزين تعزفه الطيور.

بينما يتعجّب جنود الناريين بوقف سلاحهم الناري عن
الضرب يكملون مسيرتهم في عرض البحر متجهين إلى
المناجم قاصدين الطريق المغلق إلى القلعة بعد أن هزموا
أول مجموعة تواجههم.

بينما تميم يفقد تركيزه الذئب تصرخ والحرب تشتعل،
تميم يصهل به حصانه ليل ويصرخ ذئبه برق وما يزال فاقداً
تركيزه، ثم يعرف وهو مشوش عن طريق الياقوت الرمادي
أنّ إصابة ماسة ليست بالخطيرة فيعود إليه تركيزه ولكنه
يسرح أكثر ويكاد يختنق بنغصةٍ في قلبه تخبره عن حارث
الذي فارق الحياة، تميم يحزن ولا يتمالك نفسه، يصرخ
عالياً، يزيد غضبه ويشتعل حماسه.

تصل الحرب إلى قمة شراستها، تقتل ذئب تميم في جيش
الناريين بعد أن أوقف تميم أسلحتهم التي تشعل النيران
بالكامل، يُصبح جيش تميم متماسكاً يضرب بالطلقات على
جيش الناريين، ثم ترجّل تميم عن فرسه ليل وأخذ يضرب
وكله حماس، بينما الغبار يلفح شعره شديد السواد وفرسه
ليل يصهل دون توقف ويتحرك دون اتران.

ماسة حزينة تبكي على خالتها التي فقدت الحياة إثر النيران ضمن عددٍ من أهالي المدينة، ولا تتمالك نفسها من الحزن على خالتها التي كانت بمنزلة أمها، وكذلك قلقة على تميم الذي يحارب دون توقفٍ وكيف هو الآن؟

ملك سالا الخائن يصل إلى المناجم فتواجهه المجموعة الأخرى التي يقودها وزير الخزانة وتبدأ مناوشات الحرب بينهم، وبسبب فرق العدد ما بينهم يُقتل معظمهم ويفرُّ منهم مَنْ نجا ويُقتل وزير الخزانة، ثم يستمرون في السير في المناجم ويقودهم ملك سالا الخائن، وفي أثناء سرعتهم في المناجم يقوم جنود الناريين والساحر بتخريب المناجم وهم في طريقهم إلى الطريق المُغلق الذي يؤدي إلى القلعة. جيش تميم على وشك الانتصار مع استخدام تميم الياقوت الرمادي بعد أن ألهم من زوجة الرجل المجنون بأن الواحدة من الياقوت الرمادي تُستخدم كسلاح مدمرٍ تقضي على الكثير من الناريين ونفخت له زوجة الرجل المجنون في الياقوتة ورمها على جيش الناريين فأخذت تُدمرُ الكثير منهم.

ملك سالا الخائن ومعه الساحر وجنود الناريين وعدد من الجنود الخائنين في الطريق المغلق وجهًا لوجهٍ ضد شاهين مع ذئابه، يُحاول الساحر أن يوقف خطر الذئاب، وبالفعل

استطاع ذلك. سائق العربّة يُغَيّي في المدينة وكان من ضمن
الناجين في مجموعة معاون وزير الخزّانة:
حربٌ في المدينة لها ضحايا
ومَن ينجو وللحزن أسيرٌ
ابكي يا عيني دموع
دموع وفي القلب خفايا
وأنا لست للعدو أسير
يأسرني الحزن وعلى الشباب
أنوح والقلب كله عذاب
وأين الحريّا زمانى؟!
الحرّاح بالصدر مقتول
ويا حرب الدمار عنوانك
على كل حال أنا مهزوم
وإن كان النصر هتافك
خسر القلب لحبيب مفقود
غنّ للحرب يا جبل
وابكٍ منها يا ليل
ابكٍ على كل الحبايب
ابكٍ وفي القلب مصايب
وفيه من الأحزان مخزون

والطير حزين وحصاني مقتول

ومع إنّ تميماً لم يتبقّ معه إلا ثلاثة يواقيت رمادية بعد
أن استخدمهم كسلاحٍ مدمّرٍ للنارين، هكذا انتصر على
جيش النارين بالرغم من موت ما يُقارب ثُلثي جيشه.

يشاهد تميم في مخيلته جيش شاهين الذي يواجه جيش
ملك سالا الخائن، بينما الحرب تروح وتجيء بين مجموعة
شاهين وأعدائهم من الخائنين والنارين، يذهب تميم ومَن
نجا معه إليهم حتى يساعدهم.

ينشغل الساحر عن الحرب ويتربّص لشاهين؛ يختفي
ويظهر في أماكن مختلفة ليظهر بشكلٍ مفاجئ من خلف
شاهين ويشدُّ عُقد الياقوت الرمادي منه فيفقد شاهين
عينيه في نفس اللحظة ويختفي الساحر بالياقوت الرمادي
بعيداً عن المدينة.

يلحق تميم بهم فيجد شاهين قد فقد عُقده من الياقوت
الرمادي بعد أن قام بسرقة الساحر بإحدى خدعه.

تشتعل الحرب لوصول جيش تميم، وبعد سِجالات في
الحرب هنا وهناك يدمّرهم تميم في النهاية بياقوته
استخدمها بعد أن ظهرت له زوجة المجنون مرة أخرى
ونفخت له فيها، لينتصر جيش شاهين بمساعدة تميم،
أخذ شاهين يصرخ من الغضب:

- أنا لا أرى! أنا لا أرى يا تميم!

فتظهر زوجة المجنون مرة أخرى قائلة:

- يا تميم، عليك أن نُضحّي بما تبقى مَعَكَ من الياقوت

الرمادي حتى يعود إلى صديقك شاهين بصره مرة أخرى.

يسرح تميم صامتًا يُفكر في الساحر الذي هرب بالياقوت

الرمادي وكيف يواجهه إذا هاجمهم به، ولكنه ضحّي في

النهاية بما تبقى معه من الياقوت الرمادي حتى يعود إلى

شاهين نظره ويرى من جديد.

الجميع في المدينة صامت وحزين، كلٌّ على مَنْ فقد من

أحبابه. عاد إلى شاهين بصره وكله خوف من نوايا الساحر،

وكذلك تميم الذي لا يعرف إلى أين هرب الساحر بالياقوت

الرمادي. بعد أن تدمرت الكثير من مباني المدينة سعى أهلها

إلى إعمارها وإعادة تنظيمها. هرب الساحر بالياقوت

الرمادي إلى مدينة مهجورة فبنى فيها قصرًا وجلب إليه

الكثير من الخدم والجواري وأخذ يشتري آلاف الرجال

ويجعلهم جنودًا، ثم استخدم الياقوت الرمادي ليجد له

مائة ذئب ولكنه وجد ألف ضبع بدلًا من مائة ذئب، وأطلق

على المدينة اسم (مدينة الساحر)، وأخذ يُجهّز في جنوده

الذين أصبح عددهم مائة ألف رجل لا يعرفون ولاءً إلا

للساحر، وجعل منهم وزراء وقادة وبنى لهم القصور، وبعد

ذلك تبقي معه أربعة يواقيت رمادية. أخذ يُجهّز في الجيوش حتى يدخل سالا وأهم وجهة له فيها دار العميان؛ فهو يرغب في المزيد من الياقوت الرمادي وفي نواياه أن يحكم العالم.

الساحر يخاطب جيشه ومدينته قائلاً:

- أعرف أنكم لم تسمعوا عن مدينة سالا ولم تسمعوا عن يواقيتها، ولكن لو عرفتُم الياقوت الرمادي وسمعتُم عن دار العميان لِمَا صبرتم عليها كما أصبر أنا الآن، ولن نترك مدينتنا التي بنيناها معًا وسوف تكون عاصمة العالم كله، وسوف ندع فيها بعض الرجال البواسل لحمايتها، مدينة الساحر لن يستطيع أحد أن يقترب منها، وبدلاً من أن يكون لنا مدينة واحدة سوف نغزو العالم كله إذا حصلنا على الياقوت الرمادي.

وبعد أن عادتُ مدينة سالا كما كانت إلّا إنّ الكثير من الحزن فيها؛ ماسة تلحُّ على تميم بالمغادرة، وتميم يخاف على أهل المدينة من الساحر، وكيف يكون نوح في مدينة الثلاثين؟! وماذا عن عامر حبيس الدار؟! والساحر بنواياه الشريرة يستعد حتى يغزو المدينة.

نَسَرَ بِحَمْرِ اللَّهِ